الجمـــــــهورية الجـــزائرية الديمـــقراطية الشعبيـــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار-الجزائر
Université Ahmed DRAIA. Adrar-Algérie

جامعة أحمد دراية –ادرار–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

التجربة الإصـــلاحية لمحمد علي باشا في بنـاء دولة مصرية حـديثة 1805_1848م

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

عيشي وهيبة

لطرش زينب

إشراف الأستاذ

بوغانم عزالة

لجنة المناقشة

محمد برمكي.....رئيسا ومناقشاً

غزالة بوغانم.....مشرفاً ومقرراً

محمد بن دارة.....عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: ٢٠١٤ /٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدينا العزيزين حفظهما الله.

إلى جميع أخواننا وأخواتنا.

إلى أستاذتنا الفاضلة "بوغانم غزالة".

إلى جميع أساتذتنا الكرام في جميع الاطوار.

إلى جميع زملائنا ورفقائنا في الدراسة.

إلى جميع طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر دفعة 2015.

وهيبة وزيب

كلمة شكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من اصطنع لكم معروفا فجازوه، فان عجزتم عن مجازاتــه فادعوا له حتى تعلموا أنكم شكرتم، فان الله شاكر يحب الشاكرين".

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه، وزودنا بالقوة لإتمام هذا العمل، وبهذه المناسبة نتقدم إلى أستاذتــنا الكريمة " بوغانم غزالة" بخالص الشكر العميق والامتنان وفائق التقدير والاحترام التي بصّرتنا بنور بصيرتها وصفاء فؤادها، ووجهتنا توجيه الأستاذة لطالبتيها، فلم تبخل علينا يوما بنصائحها وتوجيهاتها رغم كثرة التزاماتها ومسؤولياتها متمنين لها دوام الصحة والعافــية والمزيد من النجاح والتفوق.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نوجه شكرنا وامتناننا إلى الأستاذ "ختير الصافي"الذي أمدنا بفيض هائل من الكتب، أطال الله في عمره.

كما نتقدم بشكرنا وامتناننا إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة أدرار الذين اشرفوا على تأطيرنا وتكويننا طيلة الخمس سنوات.

كما نشكر كل من ساعدنا على انجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

وهيبة وزينب

المقدمة

المقدمة

شهدت مصر أواخر القرن الثامن عشر حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت عام 1798، غير أن هذه الحملة لم تدم طويلا حيث عملت الدولة العثمانية وبريطانيا على إخراجها من مصر فأرسلت فرقة عسكرية وتم لهما ذلك وكان على رأس هذه الفرقة ضابط ألباني يدعى محمد علي.

تعد الفترة الممتدة من ١٨٠١ تاريخ خروج الفرنسيين حتى وفاة محمد علي باشا عام 1849 من أهم الفترات في تاريخ مصر الحديث، حيث شهدت نقلة نوعية خرجت بمصر من عصر الإقطاع إلى العصر الحديث، وكان لمحمد علي باشا الفضل في ذلك بعد أن كسب أعيان مصر وعلمائها، الذين زكوه بدورهم لدى السلطان العثماني عام1805 ولما استتب له حكم مصر عام1811 بدأ في التخطيط لبناء دولة مصرية حديثة على النسق الغربي الأوروبي فشهدت مصر في عهده نهضة عظيمة في مختلف المجالات وإن كانت متعلقة بحكم شخص واحد.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على فترة مهمة في تاريخ مصر الحديث ويزيل الإبهام عن كثير من التغيرات التي شهدتها مصر منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى غاية عزل محمد علي عن السلطة عام ١٨٤٨م.

أسباب اختيار الموضوع:

كان من بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

١. التعرف على محمد علي باشا والعوامل التي كانت وراء إحداثه نهضة رائدة بمصر وهو الرجل الأجنبي.
٢. للتعمق أكثر في هذا الموضوع.
٣. محاولة معرفة تأثير الإصلاحات التي قام بها محمد علي في مصر، والوقوف على إيجابياتها وسلبياتها قصد الاستفادة منها.

إشكالية البحث:

كانت الإصلاحات التي قام بها محمد علي باشا في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع الميلادي (١٩م) قد ساهمت في النهوض بمصر سياسيا وعسكريا وصناعيا وثقافيا، كما أدت إلى تغيرات عديدة داخل المجتمع المصري فالمسؤولية التي حملها محمد علي باشا على عاتقه كانت صعبة وهو الأمي، حتى أعتبر مؤسس الدولة المصرية الحديثة

فإلى أي مدى تصدق هذه العبارة؟ وكيف تمكن من خوض هذه التجربة الرائدة إلى حد التفكير في بناء دولة عربية كبرى؟ ولمعالجة هذه الإشكالية لنا أن نقوم بطرح التساؤلات الآتية:

١. من هو محمد علي باشا؟
٢. كيف تمكن من الإمساك بمقاليد الحكم بمصر وهو الأجنبي عن مصر وعن البلاد العربية؟
٣. أين تجلت مجهودات محمد علي في بناء دولة مصرية حديثة؟ وهل نجح في تحقيق ذلك؟
٤. كيف كان مصير التجربة التي قام بها محمد علي باشا مقارنة بالتجربة اليابانية؟

إطار للبحث:

تمتد الفترة الزمنية للموضوع محل الدراسة النصف الأول من القرن التاسع عشر من عام 1805 تاريخ تولي محمد علي حكم مصر إلى غاية عزله عن السلطة عام 1848 والتي تعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ مصر الحديث، حيث شهدت مصر عدة تحولات سياسية واقتصادية وثقافية وعلمية.

مناهج البحث:

اعتمدنا في تناولنا لهذا الموضوع على عدة مناهج وهي:

أولا: المنهج التاريخي الوصفي وذلك من خلال وصفنا للأحداث التاريخية.

ثانيا: المنهج التاريخي المقارن وتتجلى في مقارنة تجربة محمد علي مع التجربة اليابانية واعتمدنا على هذا المنهج خاصة في الفصل الثالث.

ثالثا: المنهج التاريخي التحليلي من خلال تحليل نتائج الإصلاحات التي قام بها محمد علي.

صعوبات البحث:

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث فمنها ما يتعلق بموضوع البحث ومنها ما يتعلق بنا نحن وتمثلت في:

- صعوبة فهم مصدر تاريخ الجبرتي لأن كتابته كانت غير واضحة لأن النسخة التي موجودة لدينا نسخة إلكترونية ولم نتمكن من العثور على نسخة ورقية.

- عدم التحكم في المراجع الأجنبية.
- ضيق الوقت وتزامن الدراسة مع انجازنا لهذا الموضوع.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- تاريخ الجبرتي لعبد الرحمان الجبرتي باعتباره شاهد على الأحداث وما تميز به المؤلف من دقة واستقصاء للأحداث ومما يأخذ عليه أنه نظر لمحمد علي نظرة سيئة .
- عصر محمد علي لعبد الرحمن الرافعي الذي أفادنا كثير في الفصلين الأول والثاني حيث أنه فصل كثير في الأحداث.
- تاريخ مصر الحديث والمعاصر لهريدي صلاح تتبع فيه المؤلف جوانب من عصر محمد علي كما أفادنا في شرح العديد من الشخصيات والمصطلحات.
- تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة لرفعت محمد تعرض فيه للدور الذي لعبه محمد علي في مصر أثناء حكمه من خلال سرد الأحداث والتفاصيل فيها.
- كتاب محمد علي سيرته وآثاره لإلياس محمد الأيوبي ومما يأخذ عليه أنه يقدس ويعظم شخصية محمد علي حتى أنه في بعض الأحيان يصل به الأمر إلى مقارنته بالرسول صلى الله عليه وسلم ويعتبر هذا خطأ فادح وقع فيه المؤلف.
- الموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيالي والتي اعتمدنا عليها كثيرا في التعريف بالشخصيات وشرح المصطلحات إضافة إلى كتاب تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر لعمر الإسكندري.

خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة لجأنا إلى إتباع خطة مكونة من مقدمة الموضوع وثلاث فصول وخاتمة.

– الفصل الأول: الموسوم بمحمد علي وظروف توليه الحكم وقد قسمناه إلى مبحثين.

المبحث الأول تحدثنا فيه عن مولد ونشأة محمد علي وأسباب قدومه إلى مصر.

المبحث الثاني تناولنا فيه خطوات تولي محمد علي الحكم موضحين كيفية تثبيت الحكم في يده.

– الفصل الثاني فخصصناه لدراسة دور محمد علي باشا في بناء دولة مصرية حديثة من خلال عرض الإصلاحات في مختلف الجوانب.

حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى إصلاحاته العسكرية والإدارية.

أما المبحث الثاني فقد بينا فيه الإصلاحات الاقتصادية.

عرجنا في المبحث الثالث على الإصلاحات الثقافية لمحمد علي من خلال عرض المدارس التي أنشأها وكذلك البعثات العلمية التي أوفدها للخارج.

– في حين جاء الفصل الثالث والأخير لتقييم هذه الإصلاحات وعنوناه بمصير إصلاحات محمد علي باشا.

المبحث الأول عالجنا فيه مشروع الدولة العربية الكبرى وتأثيره على مسار الإصلاحات.

المبحث الثاني قمنا بعرض مقارنة بين إصلاحات محمد علي باشا بمصر وإصلاحات العهد الميجي باليابان.

وفي النهاية خلصنا من خلال دراستنا هذه إلى خاتمة عرضنا فيها جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا.

محمد عـــلي وظـــروف توليه الـــحكم

المبحث الأول: محمد علي من قونية إلى الإسكندرية.

المبحث الثاني: خطوات محمد علي لتثبيت حكم مصر بيده ١٨٠٥-١٨١١م.

الفصل الأول: محمد علي وظروف توليه الحكم

اثبت النظام العثماني المملوكي عجزه عن الإدارة الراشدة لمصر وخدمة المصريين لعدم استمداد قوته من أهل البلاد، مما جعل الشك يتسرب إلى نفوسهم في مدى قوة هذا النظام الذي خضعوا له قرونا طويلة دون جدوى، وإذا بهم يرون مدافع الفرنسيين وقد عصفت بهم عصفا، والبلاد تنهار تحت أقدامهم فتأكد لهم عجزه وحواره.

في ظل هذا الظرف برز رجل مغامر تمكن من استغلال المواقف لصالحه، ألا وهو محمد علي الذي تمكن من الاستيلاء على مقاليد الحكم في مصر بطلب من أعيانها وعلمائها. فكيف نجح في استمالتهم؟ وكيف أرسى دعائم حكمه في ظل وجود زعامات شعبية ومماليك مناوئين له؟

المبحث الأول: محمد علي من قونية إلى الإسكندرية

أولا: المولد والنشأة ١٧٦٩_ ١٨٤٩

ولد محمد علي بقولة* وهي إحدى المدن الإسلامية البلقانية الواقعة على الساحل المقدوني ببلاد اليونان عام 1769[١] من أسرة بسيطة وقد كان أبوه إبراهيم أغا رئيس الجيوش غير النظامية في قولة.[٢]

ولد لإبراهيم أغا سبعة عشر ولدا لكن الموت قطف زهرة كل أولاده وهم في صباهم، ولم يبق له منهم سوى محمد علي الذي توفي أباه وهو في الرابعة من عمره، كما توفيت والداته وهو لا يزال قاصرا،[٣] فكفله عمه طوسون أغا لكنه ما لبث أن توفي هو الآخر، ولم يبق أحد من أسرته حيا، فعطف عليه حاكم قوله لما أنسه في الطفل من ذكاء وصفات ممتازة،[٤] تعرف محمد علي في بيت "الشوربجي" على تاجر فرنسي اسمه المسيو ليون من مرسيليا كان يتاجر في الدخان، وكان محمد علي يتردد عليه ويتعلم منه أساليب التجارة، فأعجب بذكائه النادر، وحسن حكمته في الأمور وشؤون قلما يدركها من كان في مثل سنه، فأحبه كثيرا، وأخذ يزوده بالنصائح والإرشادات المهمة.[٥]

---

* أنظر:" الملحق رقم ٠٩" ص٧٠.

١ - M. Paul Mérruau, l'Egypte contemporaine de Mohammed Ali A Said pacha, Librairie académique, Paris, 1864, p45.

٢ -هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(1517-1882)، [د ن]، [د م]، [د س]،ص383.

٣ -الأيوبي إلياس، محمد علي سيرته أعماله وأثاره، إدارة الهلال، مصر، 1923، ص09.

٤ -رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (1798-1849)، ج 1، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1934، ص73.

٥ - المرجع نفسه، ص74.

كما تعرّف محمد علي على شيخ تجاوز السبعين من عمره في بيت حاكم قولة "إسماعيل آغا" أشتهر بتفسير الأحلام وقد أعجب هو الآخر به، وذات يوم رأى محمد علي مناما "أنه ظمئ ظمأ شديدا، فشرب كل ماء النيل ولم يرتو" فلما قص منامه على الشيخ قال له: "أبشر يا بني فان منامك يعني أنك ستملك وادي النيل بأسره ولن تكتف به، بل ستسعى إلى امتلاك أقطار غيره"، فهزأ محمد علي بالتفسير وأستبعده.[١]

لما ترعرع محمد علي انتظم في سلك الجهادية، وأظهر رغم صغر سنه نباهة وبسالة عجيبتين، وسرعان ما تكشفت مواهبه الفذة فأشتهر في عدة عمليات بحرية ضد القراصنة الصليبيين[٢] وعمليات أخرى لتطهير البلاد من لصوص عاثوا فيها فسادا وعمليات ثالثة لتحصيل أموال الدولة[٣]، من ذلك أنه لما امتنع أهالي قرية "بروسطة " عن دفع الضرائب المفروضة عليهم فتكدر **الشوربجي** واستعصى عليه حل المشكل لعدم ميله إلى استعمال العنف، فتقدم محمد علي وأخذ على نفسه مهمة إخضاعها وتحصيل جبايتها فأخذ معه عشرة رجال مسلحين وذهب إلى بروسطة وقصد مسجدها فصلى به وأرسل يطلب أربعة من كبار القرية لتبليغهم أمرا يهمهم، فأسرع الرجال بالحضور وحال دخولهم أشار إلى رجاله بالقبض عليهم فتجمع أهل القرية حوله مطالبين بإطلاق صراحهم، وقاد الرجال معه إلى قوله وفي الصباح جاء أهل هذه القرية يدفعون الأموال المطلوبة منهم ليخلصوا أعيانهم من الأسر،[٤] فكبرت منزلته لدى **الشوربجي** الذي رفعه إلى درجة" بلوك باشي"، وزوجه من إحدى قريباته رزقه الله منها بخمسة أبناء،[٥] منهم ثلاثة ذكور سماهم : إبراهيم، طوسون، وإسماعيل إكراما وذكرا لإبراهيم أبيه وطوسون عمه، وإسماعيل الحاكم مربيه وبنتان، ويقال أنه عمل بعد زواجه في تجارة الدخان، ومهما يكن من شيء فقد كانت تلك المقاطعة النائية أضيق من أن تسع طموحه البعيد.[٦]

كانت حياة محمد علي في قوله حياة مرح ونشاط ومغامرات وسعادة، وظل في كبره كثير الحنين إلى سنوات الطفولة والشباب، كثير الإشارة في أحاديثه إلى بعض وقائع تلك الأيام، أيام الحرية والبساطة والمغامرات، ولم يخطر

---

[١] – الأيوبي إلياس، المصدر السابق، ص ص12-13.

[٢] – السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة المتوكل، القاهرة، ص12.

[٣] – الاسكندري عمر وحسن سليم، صفحات من تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ط2، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1992،ص110.

[٤] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص74.

[٥]– هريدي احمد صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(1220هـ_1805م _1300هـ_1882م)، ج 2، ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص13.

[٦] – بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر:نبيه أمين فارس والبعلبكي منير، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1973، ص542.

بباله قط أنه سيأتي يوم يهجر فيه التجارة والوطن ويقود في حملة حربية إلى بلد بعيد وشاء القدر أن يخرج محمد علي من وطنه الأول في قوله إلى مصر.[1]

ثانيا: محمد علي في مصر

إثر حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ أرسلت الدولة العثمانية فرقة عسكرية إلى مصر كان ضمن هذه الفرقة محمد علي الذي ساهم في إخراج الفرنسيين منها.

1- أوضاع مصر عند مجيء محمد علي

سادت الفوضى وعدم التوازن في مصر خاصة في الجانب السياسي والجهاز العسكري فكثرت انتفاضات وثورات الجند ضد الولاة، وتنازع المماليك على السلطة مع الولاة العثمانيين،[2] وفي خضم هذه الظروف شهدت مصر حملة فرنسية عام 1798 قادها نابليون بونابرت* فبمجرد دخولها إلى مصر عزم السلطان العثماني سليم الثالث على إخراجها باعتبار مصر ولاية عثمانية وقام بتكليف والي اليونان أن يرسل فرقة عسكرية مؤلفة من ثلاثمائة مقاتل لمحاربة الفرنسيين بمساعدة انجلترا.[3] فقام إسماعيل آغا بإرسال هذه الفرقة بقيادة ابنه الصغير يساعده في ذلك محمد علي لكن هذا الأخير سرعان ما تولى القيادة الفعلية للفرقة بعدما شاركت هذه الأخيرة في بعض المعارك ضد الفرنسيين وأضطر قائدها الأول إلى مغادرة مصر والعودة إلى وطنه،[4] واستمر النزاع بين العثمانيين والفرنسيين إلى إن تم جلاء الحملة الفرنسية عن مصر طبقا لاتفاقية العريش فانسحبوا منها في سبتمبر١٨٠١.[5]

لم يكن معنى خروج الفرنسيين من مصر أن السلام قد عاد لها، والسبب في ذلك أن استقرار الأحوال في هذه البلاد كان مرتهنا بتقرير السلام العام في أوروبا من جهة، ومتوقفا على قيام الحكومة الموطدة القوية في مصر ذاتها من جهة

---

[1] – غربال محمد شفيق، محمد علي الكبير، هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012، ص13.

[2] – بن أعراب كلثوم، خطاب الإصلاح والنهضة في القرن 19 (حمدان خوجة ورفاعة رافع الطهطاوي أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص110.

* نابليون بونابرت: زعيم عسكري فرنسي من مواليد أجاكسيو في جزيرة كورسيكا الإيطالية، تلقى علومه العسكرية في ميريان، أصبح ضابط للمدفعية أنتقل بعد قيامه بعدة معارك في أوروبا إلى مصر وقام حملة ضدها عام ١٧٩٨م نفي إلى جزيرة هيلانة وبها توفي.(أنظر: الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج٦، ص ٢٦٦.)

[3] – بيضون جميل وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، إربد، 1991، ص79.

[4] – صبري محمد، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926، ص31.

[5] – حلمي سهير، أسرة محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص46.

أخرى،[1] فعند جلاء الفرنسيين عن مصر كانت الحالة العسكرية والسياسية فيها تنذر بالخطر فالوضع السائد قد تدهور، لان القوات الثلاث –قوة الانجليز وقوة المماليك وقوة العثمانيين- اشتد الصراع فيما بينها كل يريد استخلاص حكمها لنفسه،[2] فالمماليك استمر التنافس القديم بينهم فبعد وفاة مراد بك في صعيد مصر في ابريل 1801 استمر الانقسام بين أنصار إبراهيم بك وخلفاء مراد بك، ثم انحصرت المنافسة على الزعامة بين اثنين من مماليك مراد بك هما: عثمان بك البرديسي المؤيد لعودة مصر ولاية عثمانية ومحمد بك الألفي* الذي يدعوا للحماية الانجليزية عليها[3] أدى هذا الصراع إلى إضعاف قوة المماليك السياسية مهدت للإطاحة بهم.[4]

استلم زمام الحكم في مصر العثمانيون بعد انسحاب الفرنسيين وتولى يوسف باشا باسم بمساعدة الجنرال "هتشنسون" وكان غرض الانجليز تثبيت سلطة الدولة العثمانية فيها والانسحاب ولكن الموقف تغير بعدما شعرت الحكومة البريطانية بأهميتها الإستراتيجية وفضلت إعادة نظام الحكم المملوكي لأنه كان أكثر خضوعا لبريطانيا فعملت على تكوين حزب موال لها من المماليك بزعامة محمد بك الألفي هذا الأخير قام بزيارة للندن عام 1802 وعرض على الحكومة البريطانية إن تشمل المماليك بمساعدتها وحمايتها ووعدته الحكومة بالتدخل لدى الباب العالي للتوفيق بينهما والعمل على حماية مصالح المماليك في مصر على أساس ما كانوا يتمتعون به قبل الحملة الفرنسية .[5]

[1] – ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص220.

[2] – ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص27.

* محمد بك الألفي: من أمراء المماليك في مصر، وعند مجيئ الحملة الفرنسية إلي مصر فر إلى الصعيد، تحالف مع الإنجليز ضد الفرنسيين، وقد أستمر في مراسلتهم للعودة إلى مصر وذلك ليساعدوه في انتزاع السلطة من محمد علي، توفي في ٢٨-يناير- ١٨٠٥م.للمزيد أنظر الموقع الإلكتروني: (www.wikipedia.org 23-05-2015/18h30).

[3] – طربين أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، دمشق، 1986، ص48.

[4] – شبارو عصام محمد، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، بيروت، لبنان، 1992، ص99.

[5] – العطار سلوى، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1989، ص17.

٢ – دور محمد علي في حسم الصراع العثماني المملوكي

لم تكن السيطرة الدائمة على مصر هي هدف بريطانيا، رغم أنها ماطلت في الجلاء عن مصر طبقا لمعاهدة "أميان"* في 17 مارس 1802 حيث أرسل نابليون احد رجاله إلى مصر وهو الكولونيل "سباستياني" sebastiani ليتعرّف على نيات الانجليز وطالبهم بالجلاء عن مصر إلى إن تم سحب القوات البريطانية منها في مارس 1803.[١]

بعد انسحاب البريطانيين من مصر اشتد التنافس العثماني المملوكي عليها فأرادت الدولة العثمانية أن تستخلصها لنفسها، لذلك عزمت على محاربة المماليك والقضاء عليهم حتى لا ينازعوها سلطة الحكم في البلاد فكانت تعليمات الباب العالي للصدر الأعظم يوسف باشا ضيا تقضي بإبادة بقية المماليك وإبعادهم عنها،[٢] ولم يحل دون تنفيذ تعليمات الباب العالي إلا وقوف الجيش الانجليزي موقف المدافع عن قضية المماليك،[٣]كانت الأوضاع الجديدة في مصر تسير في غير صالح المماليك الذين تعارضت سياسة الدولة العثمانية مع مصالحهم، ولم يفدهم اعتمادهم على الانجليز في شيء، هذا فضلا عن انقسامهم على أنفسهم وتنازعهم السلطة، وحبهم للسلب والنهب وتدبير المؤامرات، كل هذا ساهم في إضعاف نفوذ المماليك في القاهرة.[٤]

كان يوسف باشا** نائبا عن الباب العالي في القاهرة، وكان يرى انه لابد من تولية وال عثماني يقوم بأعباء الولاية لذلك سعى بمساعدة حسين باشا*** إلى تولية خسرو باشا حاكم مصر القديم [٥] فأجاب السلطان طلبهما وبعث

---

* **معاهدة أميان:** وقّعت عام ١٨٠٢، لتنهي مؤقتًا العداء بين الجمهورية الفرنسية والمملكة المتحدة خلال حروب الثورة الفرنسية، وقعت في مدينة أميان في ٢٥ مارس ١٨٠٢، بين جوزيف بونابرت والمركيز كورنواليس كمعاهدة سلام نهائية. استمرت المعاهدة لعام واحد فقط، وهو العام الوحيد الذي سادته حالة السلام خلال ما يسمى بالحرب الفرنسية العظمى التي دارت بين عامي ١٧٩٣ و ١٨١٥ وبموجبها ارغمت بريطانيا على الخروج من مصر (أنظر: السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص٣٧).

[١] – عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص300.

[٢] – هريدي محمد صلاح، المرجع السابق، ص338.

[٣] – الأيوبي إلياس، المصدر السابق، ص22.

[٤] – السروجي محمد محمود، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، د،ن، ١٩٩٨، ص40.

** يوسف باشا:قائد الفرقة الأولى المؤلفة من الانكشارية وحرس الوزير والجنود المجندين في سوريا المعسكرين في القاهرة.

*** حسين قبطان باشا: هو قائد الأسطول العثماني الراسي بأبي قير.

[٥] – جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج 2، د،ن ،مصر، 1889، ص217.

لهما فرمانا يقضي بتوليته عليها بمساعدة محمد علي، استلم خسرو باشا زمام الأمور والسلطة في مصر وانسحب يوسف باشا إلى سوريا مخلفا من جيشه ثلاثة عشر ألف رجل كما غادر حسين باشا هو كذلك بسفنه تاركا لخسرو أربعة آلاف جندي الباني.[١]

عمل خسرو على محاربة المماليك، فبمجرد تقلده منصب الولاية أرسل فرقتين من الجند الأولى بقيادة يوسف بك والثانية بقيادة محمد علي إلى الصعيد لمحاربة المماليك غير أنهم هزموا فرقة يوسف باشا قبل أن يصل محمد علي فنسب انكساره إلى تعمد محمد علي التأخر في نجدته فأدرك الأخير أن كل واحد يسعى لتحقيق مصالحه،[٢] ففكر خسرو باشا في الغدر به فأرسل إليه يستدعيه بعد صلاة العشاء بحجة المفاوضة معه في أمر خطير، لكن محمد علي أدرك قصده وأجاب انه سيذهب إلى مقابلته في وضح النهار وبمعية جنوده ومنذ ذلك الحين بدأت بذور العداوة تنبت بين هذين الرجلين.[٣]

تلقى جند خسرو عدة هزائم متوالية على يد المماليك فلم يقو على إعادة تنظيم شؤون الإدارة المالية التي عرفت اختلالا نتيجة الحروب، وبلغ هذا العجز أن عجزت عن دفع مرتبات الجند،[٤] فثار الجند عليه حين دفع بهم إلى قتال المماليك دون أن يدفع لهم رواتبهم،[٥] فحاصروا الخزانة ونهبوا وسلبوا القاهرة، وحبسوه في منزله فأمر هذا الأخير بإطلاق النار على الجنود فأشتد الخصام، فتدخل طاهر باشا* بأمر من محمد علي لحل ذلك المشكل، لكن خسرو باشا شك في نواياه واتهمه بالتواطؤ مع المتمردين،[٦] فأنحاز طاهر باشا إلى الجند وسار بهم إلى القلعة، ولما لم يجد خسرو جندا تحميه ولى هاربا إلى دمياط منتظرا فرصة للرجوع.[٧]

في ظل هذه الظروف سيطر طاهر باشا على كرسي الولاية وحاول أن يثبت أقدامه في ولاية مصر منتظرا قرارا من الباب العالي،[٨] لكن أيام الباشا لم تطل في الولاية، لما عرف عنه من ظلم فثار عليه الانكشارية مطالبين بدفع مرتباتهم

---

[١] – الأيوبي إلياس، المرجع السابق، ص23.

[٢] – صبري محمد، المرجع السابق، ص31.

[٣] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص76.

[٤] – غربال محمد شفيق، المرجع السابق،ص25.

[٥] – السيد فرج، المرجع السابق، ص15.

* طاهر باشا: كان من قطاع الطريق في بلاده ،أنضم إلى جنود خسرو باشا، لكن مالبث أن تمرد عليه وتربع على كرسي الولاية، أغتيل من طرف الجنود الإنكشاريين في٢٥- ماي- ١٨٠٢م.(أنظر إلى: غربال محمد شفيق، المرجع السابق، ص١٥)

[٦] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص217.

[٧] – شاكر محمود، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)،ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ص476.

[٨] – السيد فرج، المرجع السابق، ص15.

مرتباتهم وانتهى هذا الخصام باغتيال طاهر باشا من طرف ضابطان من الجند الانكشارية هما :"موسى أغا" و"إسماعيل أغا" بعد أن تظلما له من تأخير رواتب الجنود في 26 ماي 1802،[1] وبعد هذه الحادثة خلا منصب الوالي من جديد هذا ما دفع العثمانيين للنظر في الأمر مجددا فقرروا تقليد الولاية لأحمد باشا فقبل بما عرضه عليه أعيان الانكشارية وأرسل هذا الأخير إلى محمد علي يستميله بعدما أصبح قائد الارناؤوط بعد موت طاهر باشا،[2] لكنه رفض ما عرضه عليه الوالي الجديد، وأرسل إليه ينصحه بترك شؤون مصر للمصريين، وقرر أن يخطو خطوة نحو الإمام فيضرب الأتراك بالمماليك.[3] فرأى من مصلحته التحالف مع عثمان بك البرديسي وإبراهيم بك ودخل المماليك المماليك القاهرة بعد الاتفاق معه وتسلموا مقاليد الحكم وطردوا الانكشارية واحمد باشا وخرج هذا الأخير إلى الحجاز.

أصبح الأمر بأيدي المماليك في الظاهر ولكن في الواقع كان كل شيء يعمل بإشارة من محمد علي، الذي تقرب إليه الأعيان والمماليك والمشايخ، وكان عثمان البرديسي قد حاصر خسرو في دمياط وعاد به أسيرا للقلعة،[4] ولما علم السلطان العثماني بسير الأحوال في مصر لم يرتح لما حدث فيها، واتضح له أن خسرو أصبح غير لائق لولاية مصر فاصدر امرا بتولية علي باشا الجزايرلي،* ونزل هذا الوالي الجديد بالإسكندرية في جويلية 1803.

رأى علي باشا الجزايرلي انه لا يمكنه مجابهة البرديسي ومحمد علي بحد السيف فاتفق معهما ظاهرا، في حين انه كان يعمل في الخفاء على هدم قوتهما وتكوين جيش يناهض المماليك فسار إلى القاهرة ومعه عدد كبير من الجند ففطن المماليك لغرضه وترصدوا له في الطريق واجبروه على الرجوع إلى سوريا وفي طريق العودة قتلوه،[5] في ظل هذه الظروف عاد محمد بك الألفي من انجلترا إلى مصر سنة 1804[6] ونزل بأبي قير فلما علم البرديسي بعودته أوجس منه خيفة أن يطلب مقاسمته فيما ناله بسعيه، فعمد البرديسي إلى محمد علي الذي كان يثق فيه وثوقا تاما فلم يهتم لذلك وعمل على تشتيت قوى الألفي الذي فر قاصدا سوريا.[7]

---

[1] – الرافعي عبد الرحمن، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهر، 1989، ص556.

[2] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص77.

[3] – السيد فرج، المرجع السابق، ص16.

[4] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص77.

* علي باشا الجزايرلي: من رجال المغرب العثماني صديق قديم للأمراء العثمانيين.(أنظر: الاسكندري عمر ،المرجع السابق ،ص116)

[5] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص77.

[6] – العطار سلوى، المرجع السابق، ص17.

[7] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص221.

٣- محمد علي زعيم شعبي بمصر

عاد البرديسي إلى القاهرة مسرورا بفوزه، لكن تصرفه هذا زاد الأمور تعقيدا حين طلب محمد علي منه دفع رواتب الجند وحذره انه إذا تأخر اضطر إلى تركه وحيدا، فلم يسع البرديسي إلا أن يلبي طلبه،[١] فسخط العلماء والمشايخ على تصرفات المماليك وثارت الجنود عليهم فانتهز محمد علي ثورة القاهرة للإطاحة بحكومة المماليك،[٢] فبادر بالنزول وسط الجماهير وأجتمع بالمشايخ وسار معهم في الشوارع وتعهد لهم بإبطال الضرائب المطلوبة، وأمر جنوده بمهاجمة المماليك، الذين اضطروا إلى الفرار من القاهرة .[٣]

أصبح محمد علي زعيما شعبيا لما أعلن انه ضد ظلم واستبداد المماليك وبدأ يخطط لاستلام ولاية مصر،[٤] ولم يكن قليل التبصر كطاهر باشا، ولكنه كان داهية من اكبر دواهي الزمان، فأدرك أن الظرف غير مناسب للقبض على زمام الأمور في الديار المصرية للأسباب الآتية:

- رأى أن عثمان البرديسي ومحمد بك الألفي متفقان على مناوئته، وهو لا يقوى مواجهتهما.

- أدرك أن أتباعه من الجند لم تكن سوى عصبة صغيرة من الألبانيين لا تقوى على مواجهة كافة المماليك.

- كما انه في هذه الفترة كان خارجا عن الدولة، لاشتراكه في خلع خسرو باشا.[٥]

توجه محمد علي إلى القلعة وفك اسر خسرو باشا لتحسين صورته لدى الشعب المصري والباب العالي وبعمله هذا برهن انه لم تكن له أطماع شخصية وأنه سعى لخدمة مصلحة مصر، كما اظهر للسلطان ولائه وعدم تآمره مع

---

[١] - الاسكندري عمر، المرجع السابق، ص118.

[٢] - صبري محمد، المرجع السابق، ص32.

[٣] - شبارو عصام محمد، المرجع السابق، ص102.

[٤] - شاكر محمود، المرجع السابق، ص476.

[٥] - الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص119.

المماليك على الباب العالي،[1] فدخلت المسألة المصرية مرحلة جديدة حين ثار الالبانيون على خسرو وأبعدوه عن مصر، فقام محمد علي بتهريبه إلى "رشيد" ومنها إلى "القسطنطينية ".[2]

خلا الجو لمحمد علي في القاهرة، ونظرا لدهائه وحسن سياسته تظاهر بعدم الجري وراء مصلحة خاصة، فنصح العلماء والمشايخ بتنصيب خورشيد باشا محافظ الإسكندرية واليا عليهم،[3] فوافقه العلماء والفقهاء واعيان البلاد والجند وأرسلوا إلى الباب العالي يخبرونه بهذا التعيين، واستدعوا خورشيد من الإسكندرية وأقاموه على القاهرة وجعلوا محمد علي في منصب "قائم مقام"[*] في مارس 1804، فصدر فرمان بتثبيت خورشيد في الولاية من الأستانة فيما بعد[4] وما إن استقر خورشيد باشا في منصبه حتى عانى من نقص المال فأمر بتحصيله عن طريق فرض الضرائب عن سنة مسبقا، ولاستخلاصها أسرف في ظلم الشعب، كما استقدم جنودا أشداء من الأكراد عرفوا باسم (الدلاة)، مما أثار غضب السكان الذين اشتد الضيق بهم، وقام الدلاة (جنود الأكراد) بالاعتداء على أهالي مصر خاصة القاهرة ومصر القديمة والقرى المجاورة لها،[5] واقتحموا المنازل وطردوا السكان وعثوا في البلاد فسادا ينهبون ويقتلون ويصادرون أموال الناس الذين اشتكوا إلى خورشيد أكثر من مرة ووعدهم بكف هؤلاء لكنه اخلف وعده فكره علماء البلاد ومشائخها والشعب على حد سواء خورشيد باشا كرها شديدا وصاروا يتطلعون للتخلص منه، ولما علم بذلك أزداد فجورا.[6] بذل كل جهوده للتخلص من محمد علي وعمل على إبعاده عن مصر وسعى لدى الباب العالي لتنصيبه واليا على جدة،[7] لم تنطلي حيلة خورشيد باشا على محمد علي، لذلك لما اطمأن لولاء الجند وتعاطف الأهالي انقلب راجعا إلى إلى القاهر.[8]

---

[1] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص78.

[2] – الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص119.

[3] – صبري محمد، المرجع السابق، ص32.

[*] قائم مقام: هو ليس من معاوني الباشا لكنه يقوم بعمل الباشا في فترة عزله أو وفاته حتى قدوم باشا آخر (انظر، هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر،ج2، المرجع السابق، ص17.)

[4] – الأيوبي إلياس، المرجع السابق، ص46.

[5] – شبارو عصام محمد، المرجع السابق، ص102.

[6] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص226.

[7] – طربين احمد، المرجع السابق، ص51.

[8] – السيد فرج، المرجع السابق، ص16.

تصدّر عمر مكرم* احتفالا شعبيا يوم 13 ماي 1805 ينادي بمحمد علي باشا واليا على مصر** لوضع حد لتردي أوضاعها، ومطالبة خورشيد باشا بالتنازل عن منصبه، ولما رفض حاصروه في القلعة واعتبروه معزولا بإرادة قادة الرأي العام بمصر ونصبوا مكانه محمد علي باشا واستصدروا من السلطان أمرا بتعيينه واليا على مصر في 18ماي 1805.[1]

المبحث الثاني: خطوات محمد علي لتثبيت حكم مصر بيده ١٨٠٥-١٨١١

تميزت أوضاع الدولة العثمانية خلال الفترة التي سبقت تولي محمد علي زمام الأمور في مصر بكونها دولة مترامية الأطراف متعددة الأعراق والشعوب مع كثرة القلاقل والثورات على الباب العالي، فظهرت بها العديد من الحركات الاستقلالية منها حركة "احمد باشا الجزار* (1775-1804)" الذي استقل في عكا.كما كان السلطان العثماني أشبه بسجين في يد وزرائه وعساكره الانكشارية، ضف إلى ذلك استفحال ظاهرة الاغتيالات بين وزراء الدولة فكان كل وزير يتحين الفرصة المناسبة لاغتيال الآخر، أو التآمر لعزل سلطان وتولية آخر ليظفر هو بمنصب الصدر الأعظم.[2]

أولا: الاستعانة بالعلماء والأعيان ثم التخلص منهم ١٨٠٥_١٨٠٩

-الاستعانة بالعلماء والأعيان: تولى محمد علي باشا شؤون ولاية مصر في ظرف فتفشت الاضطرابات الخطيرة سواء في الدولة العثمانية أو في مصر التي تنازع السلطة فيها بعد حملة نابليون عدة قوى ممثلة في: الدولة العثمانية، والمماليك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ملاك مصر الشرعيون، والانجليز الذين كانوا يحاصرون سواحل مصر،[3] ومحمد علي الذي

---

* عمر مكرم (١٧٥٠-١٨٢٢م): بن حسن السيوطي ولد بأسيوط عام ١٧٥٠، زعيم شعبي مصري تولى نقابة الأشراف ١٧٩٣م، كان له دور كبير في تولية محمد علي الحكم، نفي إلى دمياط في ٠٩- أوت – ١٨٠٩م ثم نقل إلى طنطا وظل بها أربع سنوات، توفي عام ١٨٢٢م.(أنظر: الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج٤، المرجع السابق، ص٢٢٣.)

** أنظر "الملحق رقم ٠١"، ص٦٢

[1]- ياغي إسماعيل احمد وشاكر محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر(قارة افريقية)، ج2، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1993، ص21.

* أحمد باشا الجزار: يعود أصله إلى البوسنة ، نزح إلى اسطنبول حيث انتهى به المطاف مملوكا إلى علي بك الكبير بالقاهرة ، حيث وجد فيه غلظة القلب فعينه جلادا وهذا ما اكسبه لقب الجزار .(انظر: بيضون جميل، المرجع السابق، ص76.)

[2] - الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص١١١.

٣- السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص٣٨.

كان يتحين الفرصة المناسبة للسيطرة على مصر، وإذا كانت القوى الثلاث الأولى قد همشت الجماهير المصرية فإن محمد علي لدهائه أدرك أهميتها فتقرب منها وكسب ودها،[1] كما استمال العلماء ووعدهم بأن يسير بالعدل وإقامة الأحكام والشرائع والإقلاع عن المظالم، وأن لا يفعل أمرا إلا بمشورتهم ومشورة عمر مكرم وأن لهم أن يعزلوه متى خالف هذه الشروط.[2]

تحقق لمحمد علي طموحه فقد طالب زعماء مصر بتعيينه حاكما عليها، إلا أن الباب العالي قرر تعيينه واليا على إقليم الحجاز الذي سيؤهله للحصول على لقب باشا وبذلك يستطيع أن يصبح واليا لأي إقليم عثماني، وقد وافق هذا الأخير على هذا اللقب دون تردد.[3] ولم يكن حصوله على هذا اللقب ليشكل نهاية المطاف بالنسبة لطموحاته بل عكس ذلك أعتبر ذلك انطلاقة لتحقيق المزيد من الطموحات، لكن واجهته عدة عقبات فهل حالت دون تحقيق هذا الطموح، وكانت أول هذه العقبات كيفية توفير المال اللازم للإنفاق على قواته الألبانية ودفع رواتبها؟ وقد تمكن من معالجة هذه المشكلة باستعمال ذكائه ودهائه، وكالمعتاد لجأ إلى الزعامة الشعبية وأقنعهم بضرورة حث الشعب المصري على التبرع لسد هذا العجز، ليتمكن من القضاء على أعداء الشعب من زعماء المماليك وقواتهم التي فرت إلى صعيد مصر واتخذته مركزا لتجمعها، وبذلك تمكن من تأمين المال دون إغضاب الشعب المصري الذي بات يرى في محمد علي زعيمه الجديد.[4]

ومن المخاطر التي كانت تتربص بوالي مصر الجديد أن السلطان العثماني كان يتحين الفرصة المناسبة للتخلص منه خاصة وأن تنصيبه جاء بضغط من الزعامات الشعبية على الباب العالي، هذا الأخير كان يتوقع أن يجاهر محمد علي بالعصيان على الدولة العثمانية، وإن كان أدار الشؤون المصرية بالضبط والمهارة وقام بها خير مقام.[5]

-التخلص من الزعامة الشعبية: بدأ محمد علي يفكر في القضاء على الزعامة الشعبية التي كان لها دور كبير في توليته حكم مصر، وقد برر ذلك احتجاج هذه الفئة على بعض أعماله خاصة بعد معارضتهم على الضرائب التي فرضها على الشعب[6] وقد قرر هؤلاء الزعماء عدم الذهاب لمحمد علي في مجلسه حتى يتوقف عن ما يقوم به، لكنه لم يهتم لأمرهم بل على العكس فقد أمر نفي "عمر مكرم" إلى دمياط لأنه أراد أن يجعل للشعب حقا في مناقشة حدود

[1] – جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، [د،م]، ص٤٥.

[2] – الجبرتي عبد الرحمان، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج4،مطبعة بولاق، 1297، ص43.

[3] – روجان يوجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ط١، تر:الجندي إبراهيم، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١١، ص٨٩.

[4] – نخلة محمد عرابي، تاريخ العرب الحديث، الشركة العربية للتسويق والتوريدات، القاهرة، ٢٠١٠، ص١٦٠.

[5] – نفسه، ص 161.

[6] السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص45.

سلطة الوالي، ثم بعد ذلك أمر بتصفية عدد من القادة المعارضين له نذكر منهم:"جرجيس الجوهر" زعيم الأقباط،"محمد المحروقي" نقيب التجار، و"الشيخ أحمد الطلحاوي" و"حجاج الحضري" وغيرهم من الزعماء وكان ذلك سنة ١٨٠٩م.[١]

ثانيا: صده لحملة فريزر الإنجليزية ١٨٠٧

رأت بريطانيا انتصار محمد علي في مصر انتصارا للفرنسيين، فتحالفت مع المماليك بعد "صلح أميان١٨٠٢" إلاّ أن هذا التحالف لم يأت بنتيجة ترضى إنجلترا فلجأت إلى استعمال القوة وذلك بإرسال حملة إلى مصر عام ١٨٠٧ كان الغرض من هذه الحملة هو مساعدة المماليك الذين أضمحل شأنهم في مصر،[٢] واحتلال الإسكندرية لمنع نزول الفرنسيين بها،[٣] ولقطع الطريق على الإنجليز أمرت الدولة العثمانية محمد علي أن يضع حدا لعملياته الحربية ضد المماليك ويرد لهم أملاكهم وأن يعمل على طرد الإنجليز من مصر وفعلا لما وصل نبأ الحملة لمحمد علي تفاوض وعقد الصلح مع المماليك حتى لا يضطر للقتال على جبهتين، فترك حكم الصعيد للمماليك بناء على أمر الباب العالي وتفرغ هو لمقاومة الحملة الإنجليزية،[٤] كانت هذه الحملة تضم ستة آلاف جندي وتتألف من فرقتين الأولى بقيادة الجنرال ستيوارت والثانية بقيادة الجنرال "ويكوب"، فقد رسم الإنجليز لهذه الحملة خطة وهي أن يزحف المماليك على القاهرة فيحتلوها وأن يحتل الإنجليز ثغور مصر ثم يزحفوا للداخل مستعينين بحلفائهم المماليك.[٥]

وصل الأسطول الإنجليزي إلى الإسكندرية في١٧-٠٣-١٨٠٧ وقد كان تحت قيادة الجنرال "الكسندر فريزر" الذي تمكن من إنزال قواته على أراضي الإسكندرية في ٢١ من نفس الشهر، ودافع أهل الإسكندرية عن مدينتهم دفاعا مجيدا تحت قيادة محمد كريم، ومع ذلك تمكن الإنجليز من الاستيلاء على عليها بسهولة بسبب تواطأ محافظها التركي "أمين أغا"[*] مع الانجليز والذي سلمهم المدينة مقابل حصوله على مبلغ من المال.[١]

---

[١] نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، عمان،٢٠١٠، ص٧٥.

[٢] – صبري محمد، المرجع السابق، ص٣٤.

[٣] – عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص٢٠٦.

[٤] – السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص 56.

[٥]– جاد طه، المرجع السابق، ص٥٠.

[*] أمين أغا: من ضباط الأستانة عينه الباب العالي على الإسكندرية التي اعتبرت مركزا منفصلا عن ولاية مصر فكان يعين فيها حاكما من قبله (انظر: السيد فرج، المرجع السابق، ص32.)

في ٢٩-٠٣-١٨٠٧م تحرك الجيش الإنجليزي من الإسكندرية متجها نحو رشيد، وكان محافظ رشيد هو "علي بك السلانكي"، الذي كان تحت إمرته نحو سبعمائة جندي فقاوم علي بك الانجليز ولم يتواطأ كما فعل محافظ الإسكندرية كانت خطته في مواجهة الإنجليز أنه أمر بإبعاد مراكب التعدية إلى البر حتى لا يفكر أحد من جنوده في الفرار كما أمر أن تتراجع الحامية إلى داخل المدينة، وان يعتصموا مع الأهالي داخل البيوت ويستعدوا للضرب ولا يبدوا أي حركة إلا عندما تصدر لهم الإشارة بإطلاق النار.[٢]

وصل الإنجليز إلى رشيد وتمكنوا من الدخول لها بكل سهولة وظنوا أنهم في" نزهة حربية " فانتشروا في شوارع المدينة وحاراتها وطرقاتها وأسواقها، كما تجردوا من أسلحتهم، عندما تأكد علي بك من أن الإنجليز قد أطمأنوا في المدينة أصدر لجيشه الأمر بإطلاق النار على الإنجليز كانت هذه الخطة ناجحة فقد منيت القوات الإنجليزية بهزيمة نكراء وسقط قائدها الجنرال ويكوب قتيلا إضافة إلى ١٧٠قتيلا من جنوده و٢٥٠جريح و١٢٠أسير وبعد انتهاء المعركة أرسل علي بك الأسرى والقتلى إلى القاهرة إعلانا للنصر الذي حققه على الإنجليز[٣].

لم يتجرع الجنرال فريزر هذه الهزيمة، ولم يعتبرها نهاية لحملته، وأراد أن يثأر لهزيمة جيشه فأرسل حملة ثانية بقيادة الجنرال ستيوارت، وكان محمد علي قد وصل إلى القاهرة في ١٢-٠٤-١٨٠٧، وتعاون هو والسيد مكرم لتدبير نفقات الاستعداد لمواجهة الهجوم الإنجليزي الثاني، فكون جيشا يضم نحو أربعة آلاف مقاتل من المشاة وألف خمس مائة من الفرسان وتوجهت هذه الحملة إلى رشيد وكانت بقيادة "طبوز أوغلي"، أما بالنسبة للقوات الإنجليزية فتكونت من أربعة آلاف مقاتل مزودين بأسلحة متطورة.[٤]

أرسل محمد علي فرقتين أحدهما بقيادة "حسن باشا"، وأخرى تحت قيادة "الكتخدا"[*] وتوجهت هذه الفرقة إلى شاطئ النيل الأيمن،[٥] أما الحملة الإنجليزية فتوجهت إلى رشيد في ٠٣-٠٤-١٨٠٧ وقد توجهت كتيبة من فرقته إلى حماد -وهي مدينة تقع جنوب رشيد- وكان يهدف من ذلك إلى تطويق رشيد ومنع وصول الإمدادات إليها من القاهرة، وصل الجيش المصري إلى حماد في٢٠-٠٤-١٨٠٧، بدأ القتال بين الطرفين في ٢١-٠٤-١٨٠٧ وأشتد

---

[١] - السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص٥٧.

[٢]- السيد فرج، المرجع السابق، ص 35.

[٣]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص٨٢.

[٤]- جاد طه، المرجع السابق، ص٥١ .

[*] الكتخدا: بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء وهي كلمة فارسية الأصل تعني رب البيت ويطلقها الترك على الوكيل المعتمد والأمين (انظر:هريدي صلاح ،دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ،ج2، ص17.)

[٥]- الأيوبي إلياس، المرجع السابق، ص٧٥.

القتال بينهما لمدة ٠٣ ساعات[١] ألقي خلالها على المدينة ما يقارب ثلاث مائة قنبلة[٢] وانتهت هذه المعركة بهزيمة الإنجليز شر هزيمة وفر الجنرال ستيوارت من ميدان الحرب كما تكبد الإنجليز خسائر بشرية ومادية فادحة فقد قتل من الجيش الإنجليزي ٤١٦ قتيل و٤٠٠ أسير.[٣]

إثر هذه الهزيمة سارع الإنجليز إلى عقد معاهدة صلح مع محمد علي وتم تبادل الأسرى بين الطرفين وانسحبت القوات الإنجليزية من مصر في ١٩سبتمبر١٨٠٧ وكان من نتائج هذه الحملة أنها مكنت محمد علي من الاستيلاء على الإسكندرية بعد أن كانت تحت حكم الأتراك.[٤]

أظهرت هذه الهزيمة للإنجليز عقم اعتمادهم على المماليك، كما أثبتت للمماليك أن انتصار الإنجليز بات بعيد الاحتمال وان مساعدة الإنجليز لهم لاسترجاع سيطرتهم على مصر قد تضاءل كثيرا وبعد هذه الحملة عاد محمد علي إلى القاهرة ووصلها في أكتوبر ١٨٠٧،[٥] وبعد هذا الانتصار رضي الباب العالي عن محمد علي فأرسل السلطان له خلعة وسيف شرف، إضافة إلى أنه أعاد له ابنه إبراهيم الذي كان محتجزاً في القسطنطينية، وهذه الهدايا السلطانية كان لها أثر كبير في توطيد سلطة محمد علي في مصر[٦].

شهدت القاهرة بعد هذه الحملة تمرد بعض الجنود الذي كاد أن يعصف بمصر لولا تدخل الزعامة الشعبية والعلماء الذين بحثوا في إيجاد خير الوسائل لإخماده، وقد تمكنوا من إخماد هذا التمرد بعد أن اتفقوا على أن تدفع الحكومة للمتمردين جزءا من رواتبهم المتأخرة والذي قدر بألفي كيس، إلا أن خزانة الحكومة كانت فارغة، فكان على الأهالي تحمل عبء دفع إتاوات جديدة.

ثالثا: تخلصه من المماليك ١٨٠٥_١٨١١

كان المماليك في أوائل عام ١٨٠٦ أصحاب نفوذ وحكم في الصعيد، فكان الألفي في "الفيوم" وسليمان بك ومن معه في أسيوط وعثمان بك الكبير وعثمان بك البرديسي وأتباعهم على شاطئ النيل بين أسيوط والمنيا.[٧]

---

[١]- جاد طه، المرجع السابق، ص٥١.

[٢]- السيد فرج، المرجع السابق، ص٣٩.

[٣] - جاد طه، المرجع السابق، ص٥١ .

[٤] - ياغي احمد إسماعيل، المرجع السابق، ص232.

[٥]- السروجي محمد محمود، المرجع السابق، ص٦٠.

[٦] - الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص١٥٠.

[٧] - الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص٣٥.

كان أول ما بدأ به محمد علي بعد توليه حكم مصر السعي للتخلص من المماليك وتصفيهم بمساندة الزعامة الشعبية له، وقد كان أمر المماليك قد آل إلى البرديسي الذي أثقل كاهل الشعب بالضرائب فثاروا عليه، وقد انضم إليهم الجنود الألبان، وحاصروا منزله فأضطر للهرب من القاهرة وتبعه عامة أمراء المماليك الذين تفرق جمعهم عندها استعان المماليك بالانجليز الذين ضغطوا على السلطان العثماني سليم الثالث فأصدر في عام 1806م مرسوما ينص على نقل محمد علي باشا من ولاية مصر إلى "سلانيك" وتعيين موسى باشا واليا على مصر، فأبدى محمد علي الطاعة والخضوع لأوامر الباب، لكن تدخل أعيان مصر لدى الباب العالي ملحين على إبقاء محمد علي واليا على مصر، في هذه الأثناء كان نابليون قد نجح في استمالة السلطان العثماني إلى جانبه في الصراع الأوربي بين فرنسا وبريطانيا من جهة وبريطانيا وروسيا من جهة أخرى والتي كانت تهدد أمن الدولة العثمانية، فأضطر السلطان سليم الثالث إلى تثبيت محمد علي في ولاية مصر.

أجتهد محمد علي في التقرب من السلطان بإرسال الهدايا وتعهد بإرسال المبالغ التي كان يرسلها من قبل المماليك للباب العالي والمقدرة بأربعة آلاف كيس* من الذهب سنويا، كما تعهد بتحمل أعباء الحج ونفقاته المالية،[1] عندها أصدر السلطان سليم الثالث فرمانا بتثبيت محمد علي باشا واليا على مصر وكان ذلك في نوفمبر ١٨٠٦، وتدعم مركزه بوفاة اكبر منافسيه عثمان بك البرديسي ١٩نوفمبر١٨٠٦.[2]

بوفاة البرديسي ظن محمد علي أن أمر المماليك قد انتهى فأخذ يفكر في النهوض بمصر، غير أن أمر المماليك لم ينته بوفاته فقد بدأ نجم محمد بك الألفي يلوح في الأفق وسيطر على مصر العليا وظل يعارض محمد علي وأستنجد بالحكومة الإنجليزية التي وعدته بإرسال حملة إلى مصر لمساعدته للقضاء على محمد علي، إرغام الباب العالي للابتعاد عن مصادقة فرنسا، فبادر محمد بك الألفي بفرض الحصار على دمنهور ليفتحها ويتخذها معقلا له منتظرا وصول الحملة الإنجليزية لكن هذه الحملة تأخرت، فسئم جنود الألفي من الاستمرار في هذا الحصار وتمردوا عليه وأعلنوا التخلي عنه، فأضطر للعودة بمن بقى من جنوده إلى الصعيد في جانفي١٨٠٧، وقوامهم ستة آلاف من العرب وستمائة من فرسان المماليك وثمانمائة من الترك كما كان يملك من الأسلحة عشرة مدافع وعدد لا يحصى من البنادق والأسلحة، إضافة إلى آلاف من الإبل تحمل المؤنة، وفي طريقه إلى الصعيد كان لا يمر ببلدة إلا أباحها لجيشه نهبا

* كيس: وحدة عثمانية في التعامل النقدي استخدم خلال القرن 17، وتختلف قيمته حسب الزمان والمكان ، الغي التعامل به سنة 1862(انظر ،هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ج2، ص19.)

[1] – رفعت محمد، المرجع السابق، ص٨٠-٨١.

[2] – جرجي زيدان، المرجع السابق، ص٢٢٨ .

وسلبا فأوجس محمد علي باشا خيفة من مجيئه بهذه القوة الرهيبة، فأستعد للمقاومة بجمع نحو أربعة آلاف من جنوده في ١٢ جانفي١٨٠٧ وعبر بهم النيل إلى إمبابة وأتخذها معسكره العام.[١]

كانت قوات الألفي تحت قيادة شاهين بك قد احتلت قرية الكوم الأسود، ولكن الكآبة سيطرت على الألفي وأشتد به المرض ولما أحس بدنو أجله أمر بتولية شاهين بك خليفة له على أتباعه من المماليك وقد قضى الألفي نحبه ليلة ٢٨-٠١-١٨٠٧ وبعد موته بنحو أربعين يوما وصلت الحملة الانجليزية وبهذا تخلص محمد علي من ألد أعدائه وأقواهم بأسا.[٢]

أعد محمد علي لمحاربة المماليك جيشا قوامه ثلاثة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان وستة سفن ونحو ثمان مائة مركب، ورغم إصابته بداء الكوليرا إلا أنه واصل سيره نحو الصعيد،[٣] طارد محمد علي قوات المماليك التي احتشدت في المنيا ولما وصل إلى بني سويف أرسل إلى زعماء المماليك العلماء يسعون للصلح، وقد كان هذه خدعة من محمد علي للإيقاع بهم، وفي الوقت نفسه عمل على استمالة بعض العرب الموالين للمماليك والذين أرشدوه إلى معسكرهم فاستولى على مدافعهم وتعقب الفارين منهم إلى حدود الصحراء، وهزمهم بالقرب من أسيوط وأتخذها معسكرا غير أن محمد علي لم يكد يتخلص من المماليك حتى داهمته حملة إنجليزية وهي حملة فريزر١٨٠٧.[٤]

-مذبحة القلعة ضد المماليك١٨١١

عقد محمد علي الصلح مع المماليك لأسباب منها الحملة الإنجليزية التي داهمته،[٥] لكن ما لبث أن دبر مذبحة ضدهم عام ١٨١١ عرفت بمذبحة القلعة[*] لم يفشي سرها لأحد سوى حسن باشا قائد الجنود الأرناؤوط وصالح قوج أحد ضباط الجند وإبراهيم باشا حارس باب القلعة[٦].

كان السلطان العثماني قد كلف محمد علي بالقضاء على الوهابيين في الجزيرة العربية، فخشي من عودة المماليك لمناوأته في الحكم فرأى أنه لابد من القضاء عليهم قبل إرسال هذه الحملة للسعودية والتي أعطى أمر قيادتها لأبنه

---

[١]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص٤٩.

[٢] - نفسه، ص50.

[٣]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص٥٠.

[٤] - نفسه، ص٥١.

[٥] - نمير طه، المرجع السابق، ص٧٤.

[*] انظر "الملحق رقم٠٢"، ص٦٣

[٦] - الأسكندري عمر، المرجع السابق، ص١٢٦.

طوسون باشا، وفي يوم الجمعة٠١-٠٣-١٨١١م أعد احتفالا لأجل إلباس ابنه خلعة القيادة فدعا لهذا الاحتفال كبار الموظفين العسكريين وجميع أمراء البكوات والكشاف المماليك أيضا[١] المماليك من جهتهم اعتبروا هذه الدعوة علامة رضا محمد علي عليهم فلبوا هذه الدعوة دون تردد ولما وصلوا للقلعة أستقبلهم محمد علي بالحفاوة والبشر، لما نادى المنادي لتحرك الموكب وقف المماليك وبادلوا الباشا وبادلهم التحية، ولما تقلد الأمير طوسون باشا اللواء وبدأ الموكب يسير متجها خارج القلعة وكان المماليك يسيرون خلف هذا الموكب فاجتاز الموكب "باب العزب"، وما كاد المماليك يجتازونه حتى أغلق الباب من الخارج وقد حاولوا الفرار من القلعة، لكن طلقات الرصاص بدأت تنهال عليهم من كل صوب وهم محاصرون في ذلك الطريق الغائر في الأرض، فالباب مقفل وجنود الارناؤوط من خلفهم ومن فوقهم وشمالهم، فلم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم لأنهم لم يأتوا للاحتفال بالبنادق وقد دخل لهذه القلعة أربع وسبعون من المماليك فقتلوا جميعا[٢] ولم ينجى منهم سوى أمين بك الذي أستطاع الفرار من صور القلعة ومضى يعدوا في الصحراء حتى بلغ جنوب سورية، وكان من بين الذين قتلوا شاهين بك الألفي وسليمان بك.[٣] عقب هذه المذبحة نزل جنود الأرناؤوط إلى المدينة واستولوا على بيوت المماليك وفتكوا بكل من يلقونه منهم، ولم يبقى من المماليك إلا عددا ضئيلا ممن بقوا مع إبراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن اللذين لم يصالحا محمد علي وبقيا في الصعيد.[٤]

كان لهذه المذبحة أثر عميق في حالة الشعب النفسية فالرهبة التي تركتها أضعفت كثيرا قوة الشعب، كما قضت على روح الحياة الديمقراطية وحلت مكانها روح الرهبة من الحكام والتي يبدوا إنها طمأنت كثيرا محمد علي لأنها ساعدته في الإنفراد بحكم مصر فخلال ٣٧ سنة التي قضاها في الحكم منذ تلك المذبحة لم يواجه أي معارضة أو محاسبة من طرف الشعب.[٥]

هكذا تمكن محمد علي من التخلص من كل تلك الصعاب التي واجهته في بداية حكمه، وبالقضاء عليها تمكن من توطيد السلطة في يده لمدة طويلة، فبعد سنة ١٨١١ بدأ يسعى لانتهاج سياسة داخلية(تمثلت في إصلاحاته) وخارجية (تمثلت في توسعاته) للحفاظ على كيان دولته الجديدة.[٦]

---

[١]- هريدي صلاح، المرجع السابق، ص٣٨٧.

[٢]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص٩٢.

[٣]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص١١١.

[٤] الرافعي عبد الرحمان، المكان نفسه.

[٥]-نفسه، ص١١٢.

[٦]-نمير طه، المرجع السابق، ص٧٦ .

دور محمد علي باشا في بناء الـــدولة المصرية الحديثة1811-1848م

المبحث الأول: إصلاحاته العسكرية والإدارية

المبحث الثاني:إصلاحات محمد علي الاقتصادية

المبحث الثالث: إصلاحات محمد علي باشا التعليمية

الفصل الثاني: دور محمد باشا في بناء الدولة المصرية الحديثة ١٨١١-١٨٤٨

تعلقت همة محمد علي باشا بفكرة تحديث مصر وإلحاقها بركب الحضارة وجعلها دولة عصرية تواكب الدول الأوروبية والتقدم الذي تخلفت عنه لفترة طويلة، مما تطلب وضع نظم جديدة متطورة للنهوض بمصر في مختلف المجالات، كما كان له طموح في بناء دولة عربية كبرى تحت إمرته تكون مصر نواتها.

المبحث الأول:إصلاحاته العسكرية والإدارية

عندما أستلم محمد علي باشا مقاليد الحكم في مصر أدرك أنه لابد على أي حكومة تريد أن تبقي السلطة في قبضتها أن تعطي للقوة العسكرية وللحكومة اهتماما خاصا، لذلك عمل جاهداً لأجل إدخال النظام الحديث في إدارته وقوته العسكرية حتى تبقى السلطة سلطته دون منازع وكذلك لحفظ وحماية مصر من الغارات الأجنبية. فكيف استطاع تنظيم جيشه وحكومته على النظام الحديث؟

أولاً: الإصلاحات العسكرية:

يعد الجيش الدعامة الأولى التي شيد عليها محمد علي باشا كيان دولته المستقلة،[١] كما كان من أبرز الميادين التي مستها إصلاحاته لأجل بناء دولته الحديثة. وقد مست القوات البرية والبحرية.[٢]

١- الجيش البري:

كان الجيش المصري في السنوات الأولى من حكم محمد علي يتكون من عناصر غير نظامية، لذا عمل جاهداً لتقويته وتطويره بأحدث الطرق.[٣]

أ-إنشاء جيش نظامي: لعل ما جعله يصر على إنشائه على الطريقة الأوروبية هو ما شاهده من تفوق للجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت على الجيش العثماني بقيادة مصطفى باشا في موقعة أبي قير عام ١٧٩٩،[٤] وكان عليه عليه أولا إقناع ضباط جيشه بأفضلية الطرق الأوروبية في التدريب[٥] وأصدر بهذا الخصوص أمراً في جويلية ١٨١٥ ينص على تدريب الجيش بطرق أوربية حديثة، لكن جيشه عارض أشد المعارضة هذا الأمر لأنهم لم يألفوا هذا النظام وثاروا ضد الباشا[٦] ونهبوا الأسواق وأضطر الباشا للاعتصام بالقلعة، ولما اشتدت مقاومة الجند جمد مشروعه مؤقتا وأمر وأمر بتعويض رواتبهم كما أمر بتعويض التجار الذين تعرضوا للنهب عن خسائرهم والتي بلغت آلاف من الجنيهات،[٧]

---

[١]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص321.

[٢]- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، 1997، ص340.

[٣]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص99.

[٤]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص108.

[٥]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ص234.

[٦]- الاسكندري عمر، المرجع السابق، ص160.

الجنيهات،[1] أما الجنود المتمردين فأمر بتشتيتهم وإخراجهم من العاصمة، وقد وزعهم في المدن الواقعة على البحر الأبيض المتوسط كرشيد ودمياط وأمر أبنائه طوسون باشا وإسماعيل باشا لمرافقة هؤلاء الجنود حتى لا يعتقدون أن هذا الفعل عقاب لهم على تمردهم.[2]

كان الباشا يؤمن أن هؤلاء الجنود غير النظاميين لا يمكن يكونوا دعامة جيشه الجديد رغم اعتماده عليهم في القضاء على المماليك، كما أنه كان بحاجة ماسة لجيش نظامي وضباط أكفاء لتدريب هذا الجيش بأحدث الطرق غير أنه لم يشأ جلب ضباط لجيشه من تركيا لأن حالة الجيش العثماني لم تسمح بذلك،[3] فهل سيتمكن من جلب مدربين أكفاء لجيشه؟ ومن أي دولة سيجلبهم؟.

أدرك محمد علي بعد فشل محاولته الأولى في تحديث الجيش، أن هذه الخطوة لن تتم إلا إذا كانت في سرية تامة وكتمان عن الجنود الذين يقفون له بالمرصاد،[4] فتمهل قليلا وأنتظر حتى عودة قوات ابنه إبراهيم من الجزيرة العربية ولما عاد ابنه أسرع إلى تحديث جيشه بطرق أوروبية حديثة.[5]

لتدريب هذا الجيش على النظام الأوروبي،[6] وأستقدم الباشا مدربين أجانب (فرنسيين وإيطاليين)[7] خصوصا الضباط الفرنسيين الذين أضحوا دون عمل بعد حروب نابليون وكانوا مستعدين لخدمة أي دولة سعيا وراء الحصول على الرزق،[8] فأستغل محمد علي هذه الفرصة وتوجه لفرنسا وطلب تزويده بمدربين لجيشه فأنتخب له "الكولونيل سيف"Save"* الذي أعلن إسلامه فيما بعد وأصبح يعرف باسم سليمان باشا الفرنساوي الذي وصل إلى مصر عام ١٨١٩، وفي عام 1820 فتح مدرسة حربية بأسوان وأرسل لها خمسمائة مملوك من مماليكه، وخمسمائة مملوك عن أعيان مصر ليصبح العدد الموفد مع سليمان باشا إلى أسوان لتدريبهم ألف جندي.[9]

---

[1]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص100.

[2]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص324.

[3]- برج عبد الرحمن و آخرون، الموسوعة الثقافية و التاريخية و الأثرية و الحضارية، ج2، دار الفكر، القاهرة، 2008، ص 26.

[4]- بدوي جمال، محمد علي و أولاده، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999، ص92.

[5]- نخلة محمد عرابي، المرجع السابق، ص172.

[6]- شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق، تاريخ مصر و السودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص152.

[7]- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط8، دار الفارابي، بيروت، 1985، ص65.

[8]- برج عبد الرحمن، المرجع السابق، ص27.

* الكولونيل سيف: ولد في 1788/09/17م بمدينة "ليون "، أشتغل بمهنة الملاحة بإحدى السفن الحربية في "طولون" ألتحق بخدمة الجيش الفرنسي عام1808م، وقد ترقى فيه إلى رتبة ملازم ثم إلى رتبة كولونيل ولكن بعد هزيمة جيش نابليون سنة 1815م ترك الجندية وأشتغل بالتجارة ثم بعدها ألتحق بالجيش المصري للقيام بتدريبه وبقي في مصر إلى وفته المنية في 1860/03/11م (أنظر:جمال بدوي، المرجع السابق، ص٧٨، أنظر "الملحق رقم ٠٤" ص٦٥).

[9]- طوسون عمر، الجيش البري و البحري في عهد محمد علي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص4.

قام باختيار أسوان لبعدها عن العاصمة التي من شأنها إفساد أخلاق الجند لكثرة أماكن اللهو فيها[1] أستغرق سليمان سليمان باشا ثلاث سنوات لتدريب هؤلاء الجنود على النظام الحديث، رغم محاولتهم المتكررة للتخلص منه، ولكن إصرار هذا المدرب على مواصلة مهامه في تدريب الجيش المصري جعل هذا الكره يتحول إلى إعجاب به وبقدراته.[2]

أدخل محمد علي السودانيين لجيشه بعد ضم السودان* وكان عددهم حوالي ثلاثين ألف من أهالي كردفان وسنار وبذلك تألفت عام ١٨٢٣ الفرقة الأولى للجيش المصري يؤطرها الضباط الذين تدربوا في أسوان ١٨٢٠ على يد سليمان باشا، وقد شاركت إحدى هذه الفرق تحت إمرة "إبراهيم باشا"** في إخضاع شبه جزيرة المورة ١٨٢٤-١٨٢٥، ضمت هذه الفرقة سبعة عشر ألف جندي،[3] لكن كثرة الوفيات بين الجنود السودانيين لعدم قدرتهم على التأقلم مع المناخ البارد جعل محمد علي يتخلى عن تجنيدهم، ويعيد النظر في خطته السابقة بشكل جذري فتوصل إلى فكرة تجنيد أبناء الفلاحين المصريين لفترة معينة مدتها ثلاث سنوات، وطلب من مشايخ القرى أن يجهزوا له الشباب القادرين على حمل المدفعية.[4]

عارض هذه الفكرة بعض أتباع محمد علي بحجة أن الزراعة سوف تتأثر بذلك سلبا، لأن المصريين ارتبطوا بالأرض منذ زمن بعيد، لكنه أصر على تجسيد فكرته[5] وسارع لجمع الشباب الذين يتمتعون بصحة جيدة وقادرين على مواجهة مواجهة الصعاب وأرسلهم إلى المعسكرات لتدريبهم، ولم يتقبل المصريين تجنيد أبنائهم فحدثت ثورة عارمة بأقاليم الملوخية والصعيد ضده، فأستطاع إخمادها[6] وواصل عملية التجنيد مما أدى إلى هروب بعض الشباب من قراهم وتشويه وتشويه آخرين لأنفسهم بقطع أصابعهم أو بوضع سم الفئران في أعينهم لإحداث عمى مؤقت، لكنه أصر على تجنيد حتى المشوهين منهم[7] وأستطاع تشكيل جيش مصري حديث، وبهذا اعتاد الشباب المصريون على الخدمة العسكرية،

---

[1]- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص152.

[2]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص105.

* أنظر "الملحق رقم٠٥" ص٦٦.

** إبراهيم باشا:هو الابن الأكبر لمحمد علي ولد في قولة عام1785م وقدم إلى مصر في1805م، عين دفتردار عام1807م، قاد حملة ضد الوهابيين(1816-1819) وهزمهم كما حارب الأتراك ودخل إلى فلسطين والشام ووصل إلى كوتاهية(1831-1833)، تقلد حكم مصر في افريل1848م بسبب عجز أبيه، توفي في نوفمبر1848م.(انظر:الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية،ج1،ص17، أنظر "الملحق رقم ٠٦" ص٦٧).

[3]- صبري محمد، المرجع السابق، ص46.

[4]- نوار سليمان عبد العزيز، تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، د،س، ص٢٤٦.

[5]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص102.

[6]- الجزيرة الوثائقية،شريط وثائقي، "تأسيس الجيش المصري الحديث"، 10-03-2015 20h50.

[7]- فهمي خالد، كل رجال الباشا محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، تر:شريف يونس، دار الشروق، د،م، د،س، ص164.

بل أصبح المصري يفتخر بانضمامه للجيش بعدما رأى الجندي المصري ما يتناوله من غذاء جيد وكسوة جميلة لم يتمتع بها سابقا،[١] وبهذا الخصوص يقول المستشار طارق البشرين:(إن الباشا كان يكرم الجنود فيقول أطعموهم أرزا مفلفلا ولحما محمرا ثلاث مرات في الأسبوع) ويضيف المستشار قائلا : (أن الفلاح المصري لم يكن يأكل أرز مفلفل ولحم محمر إلا في الأعياد الدينية).[٢]

ب– إنشاء المدارس الحربية: لم يكتف محمد علي باشا بتدريب الجيش على النظم الحديثة بل قام بفتح العديد من المدارس الحربية لإعداد الضباط وتكوينهم تكوينا جيدا،[٣] ومن بين هذه المدارس نذكر ما يلي:

– مدرسة أسوان للمشاة والفرسان: وهي أول مدرسة أنشأها محمد علي وكان ذلك سنة ١٨٢٠ وقد ألتحق بهذه المدرسة في البداية ألف جندي بقيادة الكولونيل سيف، وبعد فترة تم نقل هذه المدرسة إلى إسنا، ثم إلى أسيوط، وفي عام ١٨٣٦–١٨٣٧ تم غلق هذه المدرسة[٤] واكتفى بالمدارس الحربية للمشاة* والفرسان التي أنشئت عام ١٨٣٠ وكان وكان بها ألفين جندي يتعلمون فيها مناورات الفرسان، إضافة إلى بعض الحركات العسكرية،[٥] ومدرسة المدفعية التي تولى تنظيمها جماعة من الضباط الفرنسيين يساعدهم في ذلك ضباط مصريين منهم أدهم باشا.[٦]

– مدرسة قصر العيني التجهيزية الحربية: وأسست عام ١٨٢٥ بلغ عدد طلبتها خمسمائة تلميذ يتم تدريبهم ليلتحقوا بالمدارس الحربية والبحرية ثم ينتسبون للمدارس العالية، فنقلت هذه المدرسة إلى أبي زعبل لأن مدرسة قصر العيني أضحت مدرسة للطب.[٧]

– مدرسة الموسيقى العسكرية بالخانكة: وأنشئت وفق النظم الأوروبية، وهي معهدا للموسيقى ضم ١٣٠ تلميذ تحت مراقبة "كاريه"Carré وقد زودت هذه المدرسة الجيش بالموسيقيين الذين يحتاج لهم.[٨]

ج– المصانع الحربية:

---

[١]– بدوي جمال، المرجع السابق، ص104.

[٢]– الجزيرة الوثائقية، تأسيس الجيش المصري الحديث، 13-03-2015.

[٣]– لوتسكي، المرجع السابق، ص66.

[٤]– الشيال جمال الدين، تاريخ الترجمة و الحركة الفكرية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1951، ص29.

* انظر "الملحق رقم٠٣"، ص٦٣.

[٥]– الأصمعي محمد عبد الجواد، قلعة محمد علي لا قلعة نابليون، دار الكتب، القاهرة، 1924، ص73.

[٦]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص334.

[٧]– الرافعي عبد الرحمان ، نفسه، ص332.

[٨]– شوقي الجمل، المرجع السابق، ص153.

إضافة إلى هذه المدارس قام الباشا بتشييد العديد من المصانع الحربية لأجل صناعة الأسلحة لتزويد جيش بها من هذه المصانع نذكر الآتي:

– **مصانع القلعة:** تم بناؤها عام ١٨٢٠ لصناعة الأسلحة وسبك المدافع، كانت تحت إشراف "جونون" Gonon بلغ عدد عمالها ستمائة عامل،[١] ومن أهم هذه المعامل معمل صب المدافع[٢] واستعان الباشا في صناعة بخبراء فرنسيين فرنسيين من بينهم: "ري" Rey، "كانت ريك" Cantreke، و"كاديه" Cadet.[٣]

– **معمل البنادق في الحوض المرصود:** أنشأ ١٨٣١ وأشرف على إدارته مارنجو، كان عدد عماله ألف ومائتي عامل، وقد أرتفع عدد عماله عام ١٨٣٣ إلى ألف وخمسمائة عامل وقد بلغ إنتاجه تسعمائة بندقية.[٤]

– **معامل البارود:** بطرف الروضة بعيدا عن المساكن، وقد تولى إدارته "مارتل" Martel وعدد عماله تسعين عاملا موزعين كما يلي:

١٨ عامل يشتغلون في خلط الكبريت والفحم وملح البارود.

٢١ عامل يشتغلون في تقليب البارود داخل الطواحين.

٤٠ عامل يشتغلون في صنع الرش(تحويل المسحوق إلى حبات).

١٠ عمال يشرفون على البغال.

ونشير أن صناعة البارود كانت تتم بطريقة التبخير لأنها اقتصادية أكثر من طريقة النار.[٥]

– **معامل سبك الحديد:** في بولاق، وقد كلف إنشاؤه ١,٥٠٠,٠٠٠فرنك ووضع تصميمه مهندس إنجليزي يدعى جالويه، أما رئيسه المباشر فهو "أدهم بك"، كان يصب في هذا المسبك يوميا خمسون قنطاراً من الحديد.[٦]

– **مصنع النحاس:** أنشأ هذا المصنع لصناعة ألواح النحاس التي تبطن بها السفن، ووضع تحت إدارة جالويه كان يشغل فيه عشرون عاملا، وقد بلغت عملية السبك ٣٥٠ قنطار من النحاس وينتج كل يوم مائة لوح من النحاس. واجه محمد علي في هذا المصنع العديد من العقبات كحداثة العمال وتدبير الوقود اللازم والمواد الخام وغيرها من العقبات.[٧]

---

[١]– هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والعاصر، ج2، المرجع السابق، ص122.

[٢]– الأصمعي محمد عبد الجواد، المرجع السابق، ص76.

[٣]– هريدي صلاح احمد، المرجع السابق، ص123.

[٤]– هريدي صلاح احمد، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي، تق: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص149.

[٥]– الرافعي، المرجع السابق، ص342.

[٦]– الأصمعي محمد عبد الجواد، المرجع السابق، ص78.

[٧]– هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص128.

كانت هناك عدة مصانع أخرى إضافة إلى تلك المصانع التي تزود الجيش والأسطول ببعض الحاجيات الأخرى غير السلاح مثل مصنع الطرابيش ومصنع الجوخ ومصنع دباغة الجلود ومصانع الحبال وغيرها، وكان بعض العمال يدربون في مصانع القلعة ثم يوزعون على باقي المصانع الأخرى.[1]

أصبح للجيش المصري في عهد محمد علي علم ونشيد ألفه رفاعة الطهطاوي،* وكانت مترتباتهم مرتفعة** ولهم زي خاص يرتدونه فكان الجنود يرتدون ملابس بسيطة مكونة من طربوش أحمر، ومعطف قصير ذي مشابك على الصدر وسروال إلى الركبة متسع وحزم عريض يشد به الوسط وحذاء أحمر ولفافة على الساق بين الحذاء والسروال. ويتخذ هذا اللباس من الجوخ في الشتاء ومن الأقمشة المتينة في فصل الصيف، أما علامات الرتب فهي الأشرطة للجنود والأهلة للضباط.[2]

تطور تعدد الجيش البري المصري في عهد محمد علي فكان في تزايد مستمر من عام لآخر ويرجع ذلك كله إلى عناية الباشا به،كما أنه لم يتبع في تطوير جيشه سياسة التسرع بل كانت زيادة هذا الجيش تدريجية وتم تطويره على مهل[3] كما يبين ذلك الجدول الآتي:

الـــسنـــــة	١٨٢٣	١٨٢٦	١٨٣٢
تعـــداد الجيش	٢٥.٠٠٠	٩٠.٠٠٠	١٥٠.٠٠٠

٢- الجيش البحري (الأسطول)

[1]- هريدي صلاح احمد، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص153.

* رفاعة رافع الطهطاوي : ولد عام ١٨٠١م في طهطا، حيث قضى طفولته وتلقى علومه الأولى، وفي عام١٨١٧م أوفد إلى القاهرة وألتحق بالأزهر وتعلم على يد الشيخ حسن العطار وبعد إكمال دراسته أصبح معلما في الأزهر كما عين واعظا إماما لإحدى فرق الجيش كما رشح أستاذا للبعثة التي أوفدت إلى فرنسا عام١٨٢٦م.(أنظر: جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن ١٩، ص٥٣).

** "أنظر الملحق رقم ١٠ "، ص٧١.

[2]- طوسون عمر، المرجع السابق، ص٩٩.

[3]- الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص162

لم تعرف مصر جيشا بحريا ومنشآت حربية حتى عام ١٨٠٩، وبعد أن كلف السلطان العثماني محمد علي بحملة ضد الوهابيين في الجزيرة العربية أخذ الباشا يفكر بتكوين أسطول مصري لحماية السواحل المصرية.[١]

أ- بناء الأسطول المصري: ومر تكوين هذا الأسطول بثلاث مراحل:

-المرحلة الأولى ١٨١٠-١٨٢١: تم خلالها بناء بعض السفن الشراعية لنقل الجند والذخيرة إلى شبه الجزيرة العربية لمواجهة الوهابيين،[٢] والتي جلبت أخشابها من آسيا الصغرى، وبلغ عدد سفن الأسطول المصري خمسة عشر سفينة في البحر المتوسط.

- المرحلة الثانية ١٨٢١-١٨٢٧: طلب الباشا من دور صناعة أجنبية إيطالية وفرنسية بناء سفن أسطوله لأجل تقديم المعونة للدولة العثمانية في حروبها لإخضاع كريت وقبرص، وأصبح الأسطول المصري يتألف من ١٤٦ سفينة حربية عام ١٨٢٤ وقد حطم هذا الأسطول في معركة نافرين ١٨٢٧.[٣]

- المرحلة الثالثة ١٨٢٧-١٨٤٧: هب الباشا لإعادة بناء أسطوله الذي لم يعد يضم إلا تسعة وعشرون سفينة وحوالي عشرة آلاف من رجال الحربية، وقد قرر أن يتم بناء أسطوله في مصر حتى لا يقع تحت تسلط الدول الأوربية التي بالغت في أسعار السفن، فاستقدم خبراء فرنسيين لهذا الأمر، وتم بناء دار الصناعة بالإسكندرية.[٤]

ب- بناء دار الصناعة بالإسكندرية: وهي عبارة مصانع فرعية، كان بناء السفن فيها يتم تحت إشراف "دي سريزيCerisy"[*]، فأصبحت دار الصناعة بالإسكندرية من أعظم المنشآت الحربية، وأشتغل فيها الشباب المصريين ووزعوا على أقسامها والتي كان عددها خمسة عشر قسم،[٥] واجه سريزي عدة مشاكل وعقبات منها انتشار الطاعون عام ١٨٣٥ فكثرت الوفيات بين العمال وتم تعطيل عمل الترسانة في كثير من الأحيان، كما تعرض للانتقاد من طرف المصريين الذين أشاعوا ضده إشاعات سيئة لإضرام نار الثورة والعصيان بين العمال الأجانب، لكن عزم وإرادة سريزي مكنته من إحباط كل هذه المحاولات والقضاء عليها.[٦]

---

[١]- طوسون عمر، المرجع السابق، ص62.

[٢]- برج عبد الرحمن وآخرون، المرجع السابق، ص29.

[٣]- برج عبد الرحمن وآخرون، نفسه، ص31.

[٤]- جاد طه، المرجع السابق، ص69.

[*] دي سريزي: هو مهندس بحري فرنسي من "طولون" أشتهر بالخبرة والكفاءة في فنون البحرية، وقد قدم إلى مصر في أبريل 1829م بعد أن طلب منه محمد علي القدوم إلى مصر لإحياء البحرية المصرية.(انظر: الرافعي، عصر محمد علي،ص367)

[٥]- الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص163.

[٦]- طوسون عمر، المرجع السابق، ص98.

طور محمد علي باشا أسطوله البحري وأحضر له التجهيزات اللازمة من الخارج وبلغ عدد قطع الأسطول المصري عام ١٨٣٢ ثلاثين قطعة تحمل ١٣٠٠ مدفعا، وعدد عساكرها ١٢٠٠٠جندي،[١] فهذه هي القوة الحربية البحرية التي أنشأها محمد علي، لكن الأزمة المالية التي عانت منها البلاد في تلك الفترة اضطرته إلى أن يحول النشاط البحري من الجانب الحربي إلى الجانب الاقتصادي.[٢]

أوصى محمد علي منذ عام ١٨٣٣ أن تصنع أول سفينة مصرية تجارية في إنجلترا، حيث كان استعمال البخار لتسيير السفن لازال حديثا،[٣] ومن بين السفن التي صنعت بدار الصناعة بالإسكندرية السفن الآتية: (مصر) (عكا) (حمص) (المنصورة) (المحلة الكبرى) (الإسكندرية).[٤]

لم يكن عدد العمال كافيا في دار الصناعة فأمر بجمع العمال المهرة من سائر المدن المصرية، وكان في بعض الأحيان يطلب تخصصات معينة، فطلب مائة عامل من مصر القديمة وبولاق لأجل سد شقوق السفن إضافة إلى أربعون من النجارين، كما كان في بعض الأحيان يطلب عمال بأسمائهم نظراً لخبرتهم ومهارتهم.[٥]

أنشأ محمد علي مدرسة للبحرية عام١٨٣١،[٦] وأدخلت لها الأنظمة المتبعة في المدارس الحربية الفرنسية وكلف ضباط فرنسيون بتسليح السفن وتدريب الجيش وأشتهر من بين هؤلاء الضباط ضابطان هما (بيسون بك) و(هوسار) كان لهما الفضل الكبير في تكوين البحرية المصرية وتعليم الجنود، ولما توسعت هذه المدرسة تم تقسيمها إلى فرقتين[٧] لم لم يكتف محمد علي بهذه المدرسة لذلك كان يختار بعض الضباط ويرسلهم إلى دول أوروبية لإتمام تعليمهم، وتقديم خدمات للبحرية المصرية فتخرج منهم قبطان يقودون السفن ويدربون بحارتها، أما البعض الآخر كانوا مترجمين لمؤلفات عن البحرية كالقوانين واللوائح والنظم البحرية المستعملة في الأساطيل الفرنسية والإنجليزية ليتم نشرها بين ضباط البحرية في مصر وبذلك ازدادت البحرية المصرية نظاما وقوة.[٨]

---

[١]- الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص164.

[٢]- هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، ج2، ص157.

[٣]- جاد طه، المرجع السابق، ص70.

[٤]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص373.

[٥]- هريدي صلاح احمد، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص152.

[٦]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص47.

[٧]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص377.

[٨]- الرافعي عبد الرحمان، نفسه، ص379.

ثانيا:الإصلاحات الإدارية ١٨١٣ -١٨٤٧

كان محمد علي باشا منذ وطأت قدماه أرض مصر حتى توليه الحكم عام ١٨٠٥، قد وضع نصب عينيه الاستيلاء على السلطة، لكنه أنتظر حتى عام ١٨١٣ لإدخال التعديل في نظام الحكم الموروث عن المماليك معتمدا في ذلك على الأنظمة الإدارية التي وضعها نابليون لبناء دولة مصرية حديثة.[١]

أدى التوسع في الجيش والاقتصاد وتطوير التعليم إلى تطوير الجهاز الحكومي للإشراف على هذه المؤسسات، فلم تعد وظيفة الحكومة مقتصرة على تدبير الأموال وجمع الضرائب والمرتبات بل تعدتها إلى وظائف أخرى.[٢]

١- طبيعة حكم محمد علي

حكم محمد علي مصر حكماً مطلقا أما حكومته فقد ساد فيها النظام بدل الفوضى التي ميزت عصر المماليك ورغم حكمه المطلق إلا أنه كان يميل إلى مشاورة مستشاريه في الأمور قبل تنفيذها،[٣] وقد استفاد من إنجازاته في المجالات الأخرى إذ تخرج من المدارس والمعاهد شبابا لهم الخبرة في مجال الإدارة،[٤] وبذلك أشرك المصريين في الحكم وأدخلهم تدريجيا محل الأتراك في المناصب العامة،[٥] فكانت هذه الحكومة الجديدة تشكل نوعاً من الديكتاتورية والشورى في نفس الوقت.

كان مما أدخله الباشا على حكومته الجديدة أنه ألغى أسماء الدوائر القديمة فأطلق اسم مديرية بدل محافظ، ولقب مدير على رئيس المديرية ورئيس المركز كما لقب "حكمدار" ولقب "بك"،[٦]كما قسم مصر إداريا إلى سبعة مديريات مديريات جعل على رأس كل منها مديرا أربعة منها بالوجه البحري وثلاثة بالوجه القبلي، كما قسم هذه المديريات إلى مراكز وكل مركز إلى أقسام وكل قسم إلى قرى ويرأس كل مركز مأمور أما الأقسام فكان كل منها تحت رئاسة ناظر والقرية يرأسها شيخ يساعده في مهامه الصراف، أما القاهرة والإسكندرية ودمياط ورشيد والسويس فكان لكل منها حاكم وضابط،[٧] وقد استعان بالديوان في تسيير شؤون مصر.

---

[١]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص٧٨

[٢] -برج عبد الرحمان وآخرون، المرجع السابق، ص٢١

[٣]- نمير طه، المرجع السابق ، ص78.

[٤]- سيار الجميل، المرجع السابق، ص342.

[٥]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص78.

[٦]-بيضون جميل وآخرون، المرجع السابق، ص٧٨.

[٧]- نمير طه، المرجع السابق، ص٧٨.

أ- الديوان العالي١٨٢٤: كان يساعد الباشا في إدارة البلاد مجلس خاص عرف باسم (الديوان) وتم تأسيسه عام ١٨٢٤ وكان مقره بالقلعة وأطلق عليه اسم (الديوان العالي)،[١] كما أطلق على هذا المجلس عدة أسماء كمجلس القلعة وديوان الخديوي، وفي عام ١٨٢٥ كون المجلس العالي الذي أختص بجميع الشؤون الداخلية عدا الشؤون المالية،[٢] كان هذا المجلس يتألف من نظار الدواوين رؤساء المصالح واثنين من العلماء يختارهما شيخ الأزهر واثنين من التجار يختارهما كبير التجار وكاتبين وشيخا عن كل مديرية، ويتم استبدال هؤلاء كل سنة،[٣] أما رئيس الديوان فكان يلقب بكتخدا وهو بمثابة وكيل الباشا كما كانت له سلطة واسعة في كافة شؤون الحكومة ويشمل هذا الديوان على عدة دواوين وهي: ديوان الجهادية ديوان التجارة، ديوان المدارس، وديوان المباني والأشغال[٤]..الخ وكان يجتمع بانتظام وتعرض عليه أمور الحكومة كافة ويقوم بدراستها ثم بعد ذلك يعرضها على الباشا.[٥]

ب- مجلس الشورى: تأسس عام ١٨٢٩ كان يتألف من موظفي الحكومة وبعض نواب الأمة من الأعيان والعلماء، وينعقد مرة واحدة كل سنة حيث تعرض مشاريع المجلس وترفع توصياته إلى الديوان العالي،[٦] كما كان يهتم بمسائل الإدارة والتعليم والأشغال العامة، وكان يرأسه إبراهيم باشا ومعه ١٥٦ عضو منهم ثلاثة وثلاثين من كبار الموظفين والعلماء وأربعة وعشرون من مأموري الأقاليم وتسعة وتسعون من أعيان مصر ومن بين أعضائه نذكر: عباس باشا، وأحمد باشا، وخليل بك وسليمان أغا وغيرهم.[٧]

ج-الدواوين(الوزارات السبع): قام الباشا بإصدار اللائحة الإدارية الشهيرة المعروفة بالسياستنامة أوقانونامة* في عام ١٨٣٧،[٨] وقد ضمت هذه اللائحة ثلاثة فصول، فالفصل الأول أختص ببيان الترتيبات الأساسية أما الثاني فأختص بالإجراءات العلمية والفصل الثالث أختص في قانون العقوبات،[٩] كما أن هذه السياسة أعادت تنظيم

---

[١]- نمير طه، المكان نفسه

[٢]- جاد طه، المرجع السابق، ص47.

[٣]- بيضون جميل و آخرون، المرجع السابق، ص84.

[٤]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص78.

[٥]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص119.

[٦]- برج عبد الرحمن وآخرون، المرجع السابق، ص23.

[٧]- هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، ج2، ص32.

* سياسستنامة: هي سياسة خاصة بالسلاطين بشكل عام وتشمل الصفات الواجب على السلاطين التحلي بها وشروط وقواعد السلطنة كما أنها توضح كيف تكون منظومة الدولة كما تكشف أيضا عن النتائج السلبية للإدارة السيئة وتستند في الأساس على الأعراف والأسس الدينية.(أنظر: الموقع الإلكتروني (٢٣-ماي-٢٠١٥ -18h١٧).www.wikipdia.com.

[٨]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص79.

[٩]- جاد طه، المرجع السابق، ص48.

الإدارة والحكومة، وبقي هذا القانون قائما وظل أساس التنظيم الحكومي في مصر طوال عهد محمد علي،[1] وبموجبه انحصرت السلطة في سبعة دواوين وهي تشبه الوزارة بعصرنا الحالي وهذه الدواوين هي:

– **ديوان الخديوي (وزارة الداخلية)**: وكان يختص بالشرطة القضائية التي لا تدخل في اختصاص المحاكم الدينية أو التجارية، و كان يشرف على ١٩ إدارة منفصلة.[2]

– **ديوان الإيرادات (وزارة المالية)**: وهو قسمان الأول أختص بحسابات كافة المديريات وجزيرة كريت والحجاز والسودان، أما الثاني فأختص بإيرادات مصر والإسكندرية وغيرهما، وكان لهما مفتشون يعرفون بمفتشي الأقاليم للتنقيب على المصالح.[3]

– **ديوان الجهادية (وزارة الحرب)**: وكان يختص بالتجنيد والتدريب، ونظام القوات وكل ما يخص الجيش من خدمات طبية وغيرها.[4]

– **ديوان البحر (وزارة البحرية)**: وكان يختص في أمور الأسطول والبحرية كما وكلت لهذا الديوان إدارة جميع إدارات الإسكندرية التي تتولى دفع جميع النفقات التي لا يتولها ديوان الخديوي.

– **ديوان المدارس (وزارة التعليم والأشغال العمومية)**: وتتولى أمر المدارس الابتدائية والثانوية والفنية ومطبعة بولاق والجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وغيرها من المهام.[5]

– **ديوان التجارة المصرية والأمور الافرنكية (وزارة التجارة والشؤون الخارجية)**: وكان يتولى النظر في العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب ومبيعات متاجر الحكومة ومشترياتها.[6]

– **ديوان الصناعة(وزارة الصناعة)**: وكان يتولى أمور مختلف المصانع في القاهرة كمصنع الطرابيش، وكذلك صناعات كافة الأقاليم كانت من اختصاص هذا الديوان.[7]

طلب الباشا من رئيس كل ديوان أن يقدم تقرير أسبوعي عن أحوال ديوانه وميزانيته السنوية،[8] بالرغم من وجود

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص237.

[2]– هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، ج2، ص32.

[3]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص523.

[4]– عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص239.

[5]– هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص33.

[6]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص524.

[7]– عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص239.

[8]– بيضون جميل و آخرون، المرجع السابق، ص84.

هذه الدواوين إلا أن الباشا ظل هو محل السلطة العليا في مصر، فكان بمثابة الوالد والحاكم المصلح لرجال دولته، يتوعد المذنبين بالعقوبة ويكافئ المصلحين المخلصين في أعمالهم.[1]

د– المجالس الثلاث: في جانفي ١٨٤٧ أسس ثلاث مجالس جديدة وهي:

– المجلس الخصوصي: أختص بالنظر في شؤون الحكومة وسن اللوائح وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة وكان يرأسه إبراهيم باشا.

– المجلس العمومي: وهو مؤلف من مدير المالية ووكيل ديوان الخديوي ومدير المدارس ومدير الحسابات ومفتش الصناعات وينعقد هذا المجلس مرتين في الأسبوع، كان ينظر في شؤون الحكومة العمومية ويرسل قراره إلى المجلس الخصوصي وإذا تمت الموافقة عليه يرسل إلى الباشا ليتم تنفيذه.

– مجلس عمومي بالإسكندرية: ومن اختصاصه النظر في شؤون الإسكندرية يرأسه ناظر ديوان الإسكندرية ومن أعضائه ناظر ديوان التجارة وأمين الجمارك وغيرهم.[2]

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الديوان والمجلس فالديوان هو بمثابة الوزارة حاليا أما المجلس فيجتمع روؤساء الدواوين حيث يعرض رئيس كل ديوان أمور ديوانه الذي يشرف عليه لمناقشتها.

ثالثا: إصلاح النظام القضائي

كان النظام القضائي في عهد محمد علي يعتمد أساسا على أحكام الشريعة الإسلامية، كما أشرك مع المحاكم الشرعية محاكم أخرى ليقضي على الفوضى.

أ–المجلس العالي الملكي١٨٢٤م: أعتبر هيئة قضائية عليا، وأصدر محمد علي باشا عام ١٨٣٣ لائحة ترتيب مجلس أحكام ملكية وقد نظمت هذه اللائحة طرق المرافعات والمداولات أمام المجلس، كما انشأ مجلس للنظر في الدعاوى المدنية والتجارية في الإسكندرية وآخر في دمياط للبحث في جميع أنواع القضايا، وأحكام هذه المجالس ترفع إلى ديوان الوالي الذي يحيلها إلى المجلس العالي الملكي.

ب– مجلس شورى الجهادية: وهو بمثابة مجلس عسكري أختص بالنظر في قضايا الجيش وطبقت فيه أحكام القانون الفرنسي.[3]

---

[1]– جاد طه، المرجع السابق، ص48.

[2]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص٥٢٥.

[3]– جاد طه، المرجع السابق، ص35.

ج- الجمعية الحقانية١٨٢٤: وهي هيئة قضائية كان من اختصاصها محاكمة الموظفين، كما كانت تحكم في الجرائم التي تحيلها على الدواوين وهي بمثابة محكمة جنايات وتضم هذه الجمعية رئيس وستة أعضاء منهم اثنان من أمراء الجهادية واثنان من البحرية واثنان من ضباط الشرطة.[١]

د- المحكمة التجارية: كان اختصاصها الفصل في الخلافات التجارية وكانت تتألف من رئيس ونائب رئيس وباشا كاتب وكاتب وثمانية من التجار خمسة من مصر وثلاثة من الأجانب وكان لهذه المحكمة فرع في كل من الإسكندرية والقاهرة.[٢]

المبحث الثاني :إصلاحات محمد علي باشا الاقتصادية

عمل محمد علي باشا على نقل مصر من اقتصاد الكفاف إلى الاقتصاد المركب، وبذل جهودا جبارة لتطوير الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد.[٣] وحاول هذا الأخير أن توجيه اهتمامه في بداية الأمر إلى الصناعة الحربية دون إهمال الصناعات المدنية[٤] وكانت سياسته في هذا المجال ترمي إلى تحقيق أمرين :

الأول: سلامة الميزان التجاري وجعله لصالح مصر حتى لا تذهب أموالها إلى الموردين الأجانب.

الثاني: تحقيق الاكتفاء الذاتي حتى تقوم البلاد بإنتاج حاجاتها من السلع دون استيراد أي شيء من الخارج.[٥]

أولا : الإصلاح الزراعي

أدرك محمد علي منذ الأيام الأولى لحكمه إن أساس الإنتاج في مصر هو الزراعة غير أن أرض مصر الزراعية كانت موزعة بين المماليك والملتزمين،[٦] الذين كانوا يجمعون الضرائب ويتصلون اتصالا مباشرا مع الفلاحين،[٧] ولكي يعزز هذا هذا الأخير دور الزراعة في نهضة مصر قام بإجراءات الهدف منها زيادة مساحة الأرض التي تمتلكها حكومته،[٨] وذلك بمصادرة أراضي المماليك واستيلائه على أراضي الأوقاف خلال الفترة الممتدة من (1809-1815) فكانت أولى

---

[١]- الدسوقي عاصم، "محمد علي وبناء الدولة الحديثة في مصر"، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١١-أبريل- ٢٠٠٧ منشورة في الموقع الإلكتروني: (www.marefe.org/index/php /٢٣-ماي-٢٠١٥/١٨h٣٠)

[٢]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص126-127 .

[٣]- نخلة محمد عرابي، المرجع السابق، ص177.

[٤]- هريدي صلاح، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص193.

[٥]- طربين أحمد، المرجع السابق، ص67.

[٦]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص80.

[٧]- ريان محمد رجائي، "نظام الالتزام في مصر العثمانية (1540-1814)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع43، السنة 13، لجنة كتابة تاريخ العرب جامعة دمشق، 1992، ص153.

[٨]- نخلة محمد عرابي، المرجع السابق، ص178.

خطواته في هذا المجال تتمثل في إلغاء نظام الالتزام سنة 1809،[1] ثم مسح الأراضي ابتداء من سنة 1813 وأعاد توزيعها على الفلاحين فأعطى كل واحد منهم خمسة أفدنة يقوم باستثمارها حسب توجيهات الدولة، شريطة أن يقوم الفلاح بدفع الضرائب المترتبة عليه للحكومة المصرية مباشرة.[2]

١-إدخال محاصيل زراعية جديدة: أدخل محمد علي إلى مصر محاصيل زراعية جديدة زادت من ثروتها نذكر منها:

-زراعة القطن: أشار بغرسه المسيو جوميل jumel في عام 1820، وهو احد النساجين الفرنسيين الذين عملوا في الحكومة المصرية حينئذ، وقد ساعدته جودة بذور القطن والتربة وملائمة الجو في إنتاج هذا المحصول بكثرة وبذلك بدأ طور جديد في تاريخ مصر الاقتصادي.[3]

-زراعة الزيتون: كانت نادرة في مصر قبل عصره، ففكر في الاستكثار من أشجار الزيتون، فأمر بغرس كثير من هذا الصنف لكونه غذاء نافعا.

-زراعة النيلة: التي كانت معروفة في مصر وبقيت على حالتها القديمة إلى غاية سنة 1826 حين تم جلب بذور النيلة الهندية واستحضر بعض الهنود المختصين في زراعتها فتقدمت زراعتها،[4] إضافة إلى هذه المحاصيل أهتم بالتوسع في في زراعة قصب السكر والتوت كما جلب أشجار الفواكه مثل: الأناناس وانتشر في عهده المانجو والموز واهتم بزراعة النخيل والكتان، وعمل على زيادة كمية الحبوب الرئيسية (القمح- الذرة- الأرز-الفول) كان محمد علي يحتكر شراء جميع المحاصيل الزراعية لنفسه فتأخذ الحكومة حصتها كضرائب ثم تشتري الباقي بأسعار تقررها الدولة.[5]

شعر محمد علي بعد ذلك بضرورة إحاطة نفسه بطبقة أرستقراطية فبدأ بتحويل الأراضي الأميرية (غير مسجلة) إلى أراضي خاصة، ففي ديسمبر1829 قام بتوزيع هذه الأراضي على أقاربه وكبار الأعيان والموظفين وضباط الوحدات الألبانية والكردية والتركية فسمى الأراضي الزراعية الممنوحة لأفراد أسرته باسم «جفالك»[*] ومعناها بالتركية ملك،[6] وقد

---

[1]- بيضون جميل، المرجع السابق، ص84.

[2]- نفسه، ص85.

[3]- الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص147.

[4]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص498.

[5]- هريدي صلاح أحمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص42.

[*] جفالك:جمع جفتلك فهي مقدار جسيم من الأرض لا تعطى إلا لعائلة الباشا.(أنظر: طربين أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، ص63.)

[6]- سيار الجميل، المرجع السابق، ص345.

وقد أعفيت من الضرائب، أما الأراضي الزراعية الممنوحة لأعيان الدولة ورجال الجهادية والموظفين سميت « أبعاديات »[**] لأنها مبتعدة عن المسح.[1]

أصدر محمد علي لائحة1845 لترتيب زراعة الأراضي بطريقة الاشتراك مع "الميري" على أن يصبح للفلاح جزء من المحصول، ثم أصدرت الحكومة لائحة جديدة سنة 1846 خاصة بامتلاك الأرض، وأباحت هذه اللائحة حرية التعامل في الأراضي التي يزرعها الفلاح.[2]

٢- إنجاز المشاريع الزراعية: فمن المشاريع التي أنجزها الباشا في مجال الفلاحة نذكر:

-القناطر الخيرية: كان من بين الإصلاحات التي أقدم عليها محمد علي هو تشييد القناطر الخيرية وهي أعظم عمل نافع أنشئ في مصر لضبط مياه النيل بإقامة سد عظيم ذي عيون قرب تفرع الدلتا وسبب ذلك أن هذا الأخير رأى أن النيل إذا وصل إلى رأس الدلتا ينفصل إلى فرعين هما فرعا رشيد ودمياط (الفرع الغربي والفرع الشرقي) فالغربي يصب عند رشيد وهو أكبرهما يمر في أراضي معظمها غير صالحة للزراعة وتذهب مياهه هباء منثورا، والشرقي بالعكس فانه يخترق أراضي واسعة الإرجاء حسنة التربة وري الوجه القبلي الذي يقل فيه الماء زمن التحاريق بسبب ارتفاع أراضيه عن سطح النيل،[3] وقد شرع في بنائها عام 1835 المهندس الفرنسي لينان ديبلفون linan de belle fonds واستعان محمد علي في إنجازه بالعديد من العمال، لكن لسوء الحظ انتشر بالبلاد وباء عام 1835 فتك بكثير من العمال، وكاد العمل يقف بالرغم من مقاومة لينان ومثابرته،[4] لكن تسرع محمد علي ورغبته في انجاز العمل كي يتم في عهده لم يمكنا "لينان" من تثبيت أساس البناء بالمتانة اللازمة فاضطر إلى إصلاحه ثانيا فترك المشروع لإتمامه في وقت أخر إلى أن قدم إلى مصر مهندس فرنسي أخر يدعى المسيو موجيل Moujel عام1842 الذي عهد إليه بوضع تصميم إقامة القناطر الخيرية، فقدم مشروعا يختلف عن تصميم المسيو لينان الذي يقتضي إقامة القناطر مباشرة في حوض النهر على القطعة التي بجانب قمة الدلتا، حيث يتفرع فرعا النيل: الأول في اتجاه رشيد والثاني في اتجاه دمياط.[5]

[**] أبعاديات:هي الأراضي البور التي استثنيت من دفع الضريبة فسميت (أباعد) وهذه الأراضي لا يجوز بيعها إنما توارثها.(أنظر: طربين أحمد، المرجع السابق، ص63.)

[2]- جاد طه، المرجع السابق، ص127.

[3]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ص240.

[4]- صبري محمد، المرجع السابق، ص51.

[5]- جاد طه، المرجع السابق، ص118.

شرع موجيل في العمل ووضع محمد علي الحجر الأساسي للقناطر الخيرية في احتفال يوم الجمعة 9ابريل1848 لكن العمل كان قد شرع فيه قبل هذا التاريخ واستمر العمل في المشروع ولكنه سار ببطء نظرا لما اعترى جهاز الحكومة من ركود أواخر أيام محمد علي الذي مات قبل أن يرى نتيجة المشروع الذي طالما تاقت نفسه إلى إتمامه.[1]

ومن أعماله أيضا إنشاء الجسور على شاطئ النيل من جبل السلسلة إلى البحر المتوسط لمنع طغيان المياه على ضفتي النهر خاصة وقت الفيضان، كما بنيت جسور أخرى صغيرة في مديريات **بني سويف وأسيوط وجرجا وقنا،**[2] إضافة إلى شق الترع في سائر المديريات سواء في الوجه البحري أو القبلي، التي كان محمد علي يعنى بتطهيرها والحفاظ عليها بالترميم من حين لأخر، منها الكبيرة مثل: ترعة الفرعونية وترعة المحمدية، ومنها الصغيرة كترعة الشنهورية.[3]

ثانيا: الإصلاح الصناعي

لم تكن الصناعة المصرية في نهاية القرن 18م تعاني أزمة، فصناعة النسيج من القطن والحرير كان إنتاجها يكفي الحاجيات المحلية بل ويصدر بعضه، إلا أن الأساليب الصناعية كانت تقليدية عاجزة عن غزو الصناعة الأوروبية للأسواق المصرية، خاصة بعد الحرب النابليونية، ومع ذلك لم تقم الدولة العثمانية بأية إصلاحات لمواجهة الخطر الذي يهدد صناعتها، جاء محمد علي الذي حاول أن ينقل مصر من اقتصاد الكفاف إلى الاقتصاد المركب،[4] للنهوض بالقطاع الصناعي أنشأ الباشا المصانع في مختلف أنحاء القطر المصري، بهدف تطوير الصناعات القديمة التي كانت قائمة بمصر، كصناعة النسيج وصناعة الأواني الفخارية وغيرهما،[5] قام الباشا باستيراد الآلات الحديثة من الخارج وأقام المصانع.

١- تطوير الصناعة النسيجية

أهتم بالمنسوجات الصوفية، لأن الصوف المصري لم يكن جيدا، واستورد الأصواف من الخارج كما استورد الأغنام من اسبانيا، واحضر معها راعيها، وجلب كل صنف منها لتحسين نوع الصوف الذي في البلاد، ورغم من كل هذه المجهودات، إلا أن صناعة الصوف المصري لم تكن جيدة وعلى هذا فقد اقتصر الإنتاج على الصوف السميك، الذي كان يصنع منه ملابس الجند وأغطية النوم.[6] كما اهتم بصناعة الحرير، وأكثر من غرس أشجار التوت لتربية دودة القز

---

[1]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص494.

[2]- هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق،ص43.

[3]- جاد طه، المرجع السابق، ص111.

[4]- جاد طه، نفسه، ص70.

[5]- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص148.

[6]- هريدي صلاح، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص213.

القز وأحضر لذلك متخصصين فرنسا منهم "الفونس غوطية"،[1] وفي عام 1817 احضر أخصائيين في تربية ديدان الحرير من سوريا ولبنان، فبلغ ما جمعه من الحرير عام ١٨٣٣م عشرة آلاف آقة تقريبا.[2]

– مصانع الغزل والنسيج: كانت من أولى المصانع التي أنشأها محمد علي بالخرنفش، حيث أنشئ عام 1816 واستدعى له عمالا فنيين من فلورنسا تخصصوا في غزل خيوط الحرير والكتان والصوف،[3] أصبح لمصنع الخرنفش 18 معملا بالمنصورة ودمياط ورشيد وبني سويف، أشهرها معمل بولاق الذي كان يسمى "معمل مالطة" لكثرة المالطيين فيه، وكان رئيسه المسيو جوميل jumel الفرنسي.[4]

– مصنع تكرير السكر: أسسته الحكومة في احد مراكز مديرية أسيوط يدعى "الزيزمون" عام1818، وبلغ إنتاج عام 1833 حوالي 12195 قنطارا من السكر الخام لكن[5] استيراد السكر المكرر من أوروبا منذ عام1826 أضر بإنتاج هذا المعمل وفضل الناس السكر الوارد من أوروبا لجودته ورخص أسعاره.[6]

هذا بالإضافة إلى مصانع أخرى مختلفة منها: مصنع الطرابيش ومصنع الصابون و مدبغة الجلود برشيد و مصنع للزجاج وأنشئ مصنع للورق لكنه لم ينجح في تجربته، ومعاصر للزيت.[7]

ثالثا: الموارد المالية واستثماراتها

ترتب عن وجود حكومة حديثة تصون الأمن وتعنى بترقية الزراعة والصناعة في أرض مصر ومدتها نشاط القطاع التجاري وحركة التبادل بين مصر و أوروبا.[8]

إن نشاط التجارة الداخلية والخارجية ضروري لتصريف الإنتاج الزراعي والصناعي وساعد موقع مصر المتميز على ازدهاره وقد طبق نظام الاحتكار على الصادرات والواردات، فكانت الحكومة المصدر الوحيد للبضائع المصرية والمستورد الوحيد لاحتياجات السوق المحلي،[9] وهنا يمكننا طرح التساؤل الآتي : ما الهدف من وراء سياسة محمد علي باشا الاحتكارية للتجارة؟.

---

[1]– هريدي صلاح، نفسه، ص210.

[2]– الاسكندري عمر، المرجع السابق، ص149.

[3]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص499.

[4]– الاسكندري عمر، المرجع السابق، ص ص148-149.

[5]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص509.

[6]– جاد طه، المرجع السابق، ص81.

[7]– الإسكندري عمر، المرجع السابق، ص149.

[8]– صبري محمد، المرجع السابق، ص53.

[9]– نخلة محمد عرابي، المرجع السابق، ص180.

١-احتكار التجارة: مارس محمد علي شكلين من الاحتكار داخلي واحتكار خارجي مكناه من المسك بناصية التجارة الخارجية المصرية.[١]

أ-الاحتكار الداخلي: هو الاحتكار الزراعي الذي سماه الجبرتي التحجير فقال «**إن منها الحجر على المزارع التي يزرعها الفلاحون في الأراضي التي يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والنيلة والقطن وغيرها وإذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم و إنما يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه على يد أمناء النواحي والكشاف ويحملونه إلى المحل الذي يؤمرون بحمله إليه ويعطى لهم الثمن أو يحسب لهم من أصل المال فإذا احتاجوا لشيء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئا لغير الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافي.**[٢]»

بطبيعة الحال كانت تسعيرة مشتريات الحكومة من الفلاحين اقل من التسعيرة التي تبيع بها الحكومة للأهالي، هذا بالإضافة إلى تسعيرة ثالثة تبيع بها الحكومة للتجار والمصدرين، وكانت بلا شك أعلى من التي تبيع بها الحكومة للأهالي،[٣] كانت تجارة القمح أول خطوة أوحت للباشا التفكير في الاحتكار وذلك إن تجارة القمح مع الانجليز كانت كانت من أهم الموارد في أوائل عهده، إذ حدث في السنوات 1809 -1810- 1811- قحط شديد في ممالك البحر المتوسط ما عدا مصر، فانتهز محمد علي هذه الفرصة، واخذ يبيع القمح المصري للانجليز.[٤]

ب- الاحتكار الخارجي: امتد الاحتكار الحكومي (الداخلي) إلى التجارة الخارجية، بحيث لم يجد التجار الأجانب من يتعاملون معه سوى الباشا ووكلائه الذين يبيعونهم منتجات البلاد من مخازن الحكومة وبالسعر الذي يحدده الباشا،[٥] وبذلك سيطر هذا الأخير على التجارة الخارجية سيطرة تامة استمرت مدة من الزمن، ومما يلاحظ في موضوع موضوع الاحتكار الخارجي، إن تجارة الوارد من الخارج لم تخضع لإتاوات غير ضريبة (3%) وهي الضريبة المعمول بها في الدولة العثمانية وفي ممتلكاتها ومن بينها مصر بمقتضى الامتيازات الأجنبية.[٦]

في منتصف ثلاثينات القرن 19م وبعد قرابة عشرين عاما من تطبيق هذه السياسة بدأت الدول الأوروبية تدرك أن ثمة شيئا يحدث في مصر لا يتفق مع الامتيازات التي تتمتع بها تلك الدول في اتحاد الولايات العثمانية، ذلك أن

---

[١]- هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر،ج2، المرجع السابق، ص44.

[٢]- الجبرتي، المصدر السابق، ص392.

[٣]- جاد طه، المرجع السابق، ص126.

[٤]- هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص45.

[٥]- طربين أحمد، المرجع السابق، ص65.

[٦]- جاد طه، المرجع السابق، ص50.

الأوروبيين الذين كانوا يقومون بدور الوكيل التجاري في مصر لاحظوا أن محمد علي ألغى دورهم فلا احد يشتري عن طريقهم شيئا ولا احد يبيع لهم شيئا فتذمروا من هذا الوضع واشتكوا لحكومتهم منه لأجل التدخل لحل هذا المشكل وكانت انجلترا اسبق الدول الأوروبية تضررا من سياسته الاقتصادية باعتبارها دولة صناعية، ومن ثم فإنها بحاجة شديدة إلى تصريف الإنتاج في السوق الخارجية تحقيقا لزيادة الموارد من ناحية ولتدوير رأس المال من ناحية أخرى وكانت السوق المصرية احد مجالات إنعاش الإنتاج الانجليزي بهذا المعنى إلا إن سياسة محمد علي كان من شأنها أن تؤدي إلى إصابة شرايين الاقتصاد البريطاني بجلطة دموية تؤثر تدريجيا على نشاط الدورة الحيوية لرأس المال.[1]

كان الباشا يأبى أن يخضع لأي ضغط إنجليزي بإلحاح انجلترا عليه ليفتح أبواب مصر للتجارة الأجنبية دون أي قيد،[2] فضغطت إنجلترا على الدولة العثمانية باعتبارها صاحبة السيادة الشرعية على مصر وعقدوا معها اتفاقية تجارية "بلطة ليمان"[*] عام 1838 تنص على:

1- معاملة بريطانيا معاملة خاصة.

2- إلغاء الاحتكارات.

3- تكون الضرائب 12% على الصادرات و 5% على الواردات.[3]

أغلقت الكثير من المصانع الحكومية أبوابها بعد معاهدة لندن، وعادت الصناعات البسيطة القديمة، وانعكست هذه الخطط على التجارة الخارجية، فأطلقت من قيودها، وأصبح التصدير والاستيراد لا يخضعان إلا لقانون العرض والطلب واستغل التجار الأجانب هذه الفرصة، فتدفقت رؤوس الأموال الأجنبية على مصر في شكل محلات ووكالات تجارية.[4]

٢- فرض الضرائب

لجأ محمد علي في بداية حكمه من أجل تأمين مداخيل مالية للخزينة إلى فرض ضرائب وكانت أهم هذه الضرائب "ضريبة الميري أو الخراج" التي تفرض على الأراضي الزراعية التي وزعت على الأهالي وكانت تتراوح ما بين إحدى عشر إلى سبعين قرشا للفدان الواحد.[5]

---

[1]- راشد عبد المجيد،مقال بعنوان: "تجربة محمد علي في الاقتصاد المصري"، المحور: الإدارة والاقتصاد، ع1729، 2001/11/09 ، 11H35.

[2]- عزت أحمد عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، [د س]، ص 253.

[*] اتفاقية بلطة ليمان: قرية صغيرة على بوغاز البوسفور من تركية الأوروبية بالقرب من الأستانة، اشتهرت بإمضاء هذه المعاهدة بها التي وقعت بين الدولة العثمانية وبريطانيا لضرب سياسة الاحتكار التي يمارسها محمد علي. (أنظر: المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص 490).

[3]- الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص ص124-125.

[4]- عزت أحمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص254.

[5]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص88.

لم تكن جميع الأراضي المصرية خاضعة للخراج، بل كان بعضها معفى منها والبعض الآخر مفروضة عليه فالأراضي التي عرفت باسم الرزق كانت معفاة منه، مثل الأراضي البور التي لا تأتي بمحصول، أما الأراضي الرديئة وهي التي كان يمتلكها الفلاحون فكانت مفروضة عليها ضريبة متوسطة القيمة، وأما أراضي الأثر والأوسية فكانت الضرائب تفرض عليها بحسب حالتها،[١] وعليه لم تكن الضريبة مقتصرة على الأرض الزراعية فكانت هناك ضرائب أخرى كالضرائب المفروضة على المواشي وأشجار النخيل وغيرها، وضريبة الرؤوس التي فرضت على الذكور البالغين، وغير ذلك من أوجه النشاط التجاري ومصادر الدخل المالي.[٢]

وبالتالي يمكننا القول أن محمد علي من خلال تطبيق نظام الاحتكار على التجارة الداخلية وفرض الضرائب مكن الحكومة من تحقيق أرباح طائلة لخزينة الدولة في ذلك العصر.

٣- الأشغال العامة

أ- مشاريع النقل: كان من نتائج ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة أن قامت الحكومة بشق الطرق والترع، ولخدمة الأغراض التجارية اهتمت الحكومة بتسيير وسائل النقل المختلفة، فبدأت بالطرق البرية كطريق (السويس- القاهرة) وشقت الترع للربط بين المدن المختلفة كترعة المحمودية التي تربط الإسكندرية بالمدن الداخلية.[٣]

ب- ترعة المحمودية: أدرك محمد علي أن الإسكندرية لن يتسنى لها النهوض الحقيقي طالما ظلت المواصلات بينها وبين بقية مدن القطر على هذا النحو من الصعوبة ولذلك عمل على إنشاء ترعة للملاحة تسير فيها السفن المشحونة بالغلال و غيرها من منتجات البلاد إلى الإسكندرية عن طريق فرع النيل الغربي دون أن تمر بميناء رشيد، فرأى أنه من أعظم المشروعات المفيدة لذلك حفر ترعة تربط الإسكندرية بالنيل[٤] فحفرها وسماها "المحمودية" نسبة إلى السلطان محمود الثاني، فكلف احد المهندسين الأتراك، وهو شاكر أفندي بشق هذه الترعة، مكان ترعة الإسكندرية القديمة.[٥]

بدأت أعمال الحفر في 21ابريل1817 حيث تم تكليف المهندس الفرنسي كوست Coste بانجاز تصميم حفرها، هذا وقد جمع العديد من العمال وسخرهم لحفرها من جميع مديريات القطر، وبلغ طولها 80252 مترا، أما نفقات حفرها فقدرت ب ثلاثمائة ألف جنيه حسب تقدير كلوت بك.[٦]

---

[١]- طوسون عمر، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص224.

[٢]- برج عبد الرحمان، المرجع السابق،ص47.

[٣]- بهنسي حسن، العالم بأصابع مصرية، دار أبو المجد، القاهرة، 1993، ص147.

[٤]- عبد العظيم رمضان، تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص362.

[٥]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ص238.

[٦]- جاد طه، المرجع السابق، ص115.

ذكر الجبرتي انتهاء حفر الترعة في ديسمبر1819 وأنهى ما كتبه بقوله:« **ورجع المهندسون والفلاحون إلى بلادهم بعد ما هلك معظمهم**»[1]

احتفل بفتح الترعة لدخول مياه النيل إلى الإسكندرية في 24جانفي1820[2] وبذلك أصبحت هذه الترعة هي أعظم طريق للتجارة بين مصر والإسكندرية.

ومن المشاريع التي عرضت على محمد علي باشا مشروع حفر قناة السويس وقد عرضته بعض الدول الأوروبية من بينها فرنسا عام ١٨٢٥ ويتلخص في حفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر، فتخترق بذلك شرقي الدلتا، وقد وجدت هذه الدول في البداية من محمد علي باشا ميلا لقبول المشروع، إلا انه لم يجد شركة للإشراف عليه وتنفيذه كما أنه كان منشغلا بحروبه لتوسيع دولته، لكن ظلت الدول الأوروبية خاصة فرنسا تلح على محمد علي للموافقة على المشروع،[2] وقبل أن يبدي الباشا أي رأي حول المشروع تدخلت إنجلترا وعارضت هذا المشروع أشد معارضة بحجة أن هذا المشروع قد يؤدي إلى الإضرار بتجارتها ونفوذها في الشرق، كما أن موقف محمد علي تغير فبعد أن كان يميل للموافقة أصبح رافضا للمشروع وذلك لما قد يجره من مشكلات سياسية له، كما شعر أن حفر هذه القناة سوف يجعل مصر مطمعا للدول الأجنبية ويزيد من نفوذها في مصر.[3]

المبحث الثالث:إصلاحات محمد علي باشا التعليمية

لم تكن قوة المال وحدها دعامة النهضة المصرية في العصر الحديث، وإنما قامت إلى جانبها دعامة أخرى لا تقل عنها قوة وخطرا هي قوة العلم، حيث وجه محمد علي جزءا كبيرا من جهوده إلى إحياء العلوم والآداب في مصر وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها، وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، وقد اتبع في هذا السبيل تلك الفكرة التي اتبعها في إنشاء الجيش والأسطول، ذلك انه اقتبس النظم الأوروبية الحديثة في نشر العلوم والعرفان، فأسس المدارس الحديثة، واخذ من الحضارة الأوروبية خير ما أنتجته العلوم، فنهض بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث.فما هي المدارس العلمية التي قام محمد علي باستحداثها؟ وكيف استطاع وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة من أن يقوم بتحقيق كل ذلك؟

---

[1]- الجبرتي، المصدر السابق، ص475.

[2]- عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص362.

[2]-عزت أحمد عبد الكريم، "سياسة مصر وإستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي،" **مجلة تاريخ العالم العربي**، ع ١٧ السنة ٠٢، دار النشر العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٠.

[3]- حلمي سهير، المرجع السابق، ص١٤٧.

أولا: إصلاح التعليم

كان التعليم قبل قدوم محمد علي محصورا في الكتاتيب التي تعلم الصبية مبادئ الدين والقراءة والكتابة والحساب،وعليه ركز الباشا جهوده لنشر التعليم الحديث فبدأ مخالفا للقاعدة الاعتيادية التي تعنى بالبدء في إنشاء المدارس الابتدائية وصولا إلى التعليم العالي، ولكنه بدأ بالمدارس العالية (الخصوصية) التي تحتاج إليها البلاد لإعداد الموظفين اللازمين للإدارات المدنية والوظائف الحكومية، وإيفاد البعوث العلمية والفنية والصناعية إلى أوروبا وترجمة كتب العلوم والفنون وطبعها ونشرها،[1] فأنشأت المدارس الحديثة إلى جانب المدارس القديمة، ومن المدارس الحديثة المدارس الحربية المختلفة، ومدارس الطب البشري والطب البيطري والصيدلة والزراعة والمهندسخانة،كما انشأ المدارس الابتدائية والتجهيزات لإعداد التلاميذ للالتحاق بالمدارس العليا.[2]

١- التعليم العالي

اتخذت وسائل التعليم الحديث عدة مسارات نذكر منها:

أ-إرسال البعثات العلمية إلى الخارج: لتعلم علوم الغرب وفنونه وإتقان اللغات الأجنبية حتى يمكن الاعتماد على أعضاء البعثات العائدين في تولى المهام التي يقوم بها الأجانب وفى ترجمة الكتب الأجنبية للاستفادة منها في إنشاء دعم النظام الجديد، من المعلوم أن محمد علي أرسل البعوث العلمية إلى الخارج في شتى فروع المعارف العسكرية والمدنية فكانت أول بلاد بعث إليها الباشا بعوثا علمية هي ايطاليا فقد أوفد عام ١٨١٣ العديد من التلاميذ لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن والهندسة والطباعة، ولم يذكر المؤرخون عددهم واكتفوا بذكر واحد منهم وهو "نقولا مسابكي أفندي" الذي أرسله إلى ميلان عام 1815 ليتعلم فن سبك الحروف ويدرس فن الطباعة فيها.[3]

تحول نظر محمد علي عن ايطاليا واتجه إلى فرنسا وأرسل إليها طائفة من التلاميذ عام 1818 إلا أن قائمة هذه البعثة ضاعت ولم يذكر منهم سوى "عثمان نور الدين أفندي" الذي أرسله عام 1819 لإتقان الفنون الحربية والبحرية، كل هذا بالإضافة إلى إرسال البعثات الكبرى التي كان أولها في سنة 1826 وهي مؤلفة من 40 تلميذ منهم "رفاعة رافع الطهطاوي" الذي اختير إماما لها.[4]

---

[1]- الشيال جمال الدين، الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، ج2 (مصر و الشام)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد 2001، ص42.

[2]- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص150.

[3]- طوسون عمر، البعثات العلمية في عهد محمد علي، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 34 19، ص 10.

[4]- طربين أحمد، المرجع السابق، ص80.

لم تتوقف حركة إرسال البعوث إلى فرنسا حيث أرسل عام 1844 بعثة عسكرية سميت «ببعثة الأنجال»، أرسل كذلك بعثة أخرى إلى باريس عام 1847 مؤلفة من خمس طلبة من الأزهر لتعلم فن المحاماة وغيرها، ومن العوامل التي جعلت محمد علي يركز على فرنسا ويوجه الخبرات الفرنسية لها هو أن معظم مستشاريه كانوا فرنسيين، كما أن فرنسا كانت تؤيده في جميع مخططاته الإصلاحية.[1]

كان لهذه البعثات فضل كبير في تنوير الأذهان من خلال تدريسهم ونشاطهم في التأليف والترجمة والصحافة[2] وكان معظم التلاميذ في المدارس والبعثات الأولى من المسيحيين الأتراك والمستشرقين لكن العنصر المصري ازداد فيما بعد،وكان هو العنصر الذي تألفت منه الطبقة المثقفة في مصر الحديثة.[3]

بلغ عدد الطلبة الذين أرسلهم محمد علي في الفترة ما بين 1813-1847 إلى دول أوروبا الغربية ما يقارب ثلاثمائة وتسعة عشر طالبا،[4] تولى هذا الأخير الإشراف عليهم من حيث الملبس و المسكن.

ب-المدارس العليا: تم إنشاء المدارس المدنية الحديثة في مصر لأول مرة يتعلم فيها عدد كبير من أهل البلاد علوم الغرب وفنونه في صورة منظمة وافية بالغرض وكان إنشاء المدارس يتماشى وحاجة الحكومة فإذا احتاجت إلى ضباط أُنشئت المدارس الحربية وإذا احتاجت إلى أطباء أنشئت المدارس الطبية وإذا احتاجت إلى مهندسين أنشئت مدارس الهندسة، وهكذا كان افتتاح المدارس وإغلاقها رهنًا لإشارة الحاكم وحده ومرتبطًا بعجلة الجيش إلى حد بعيد ولذا كانت الصبغة العسكرية غالبة على التعليم.

قام محمد علي بجلب الخبراء من الدول الأوروبية خاصة فرنسا وذلك من أجل تأطير الطلبة في المدارس العليا التي أنشأها ومن بين هذه المدارس نذكر:

- مدارس الهندسة: كان أول ما أنشأ محمد علي من المدارس العالية مدرسة الهندسة بالقلعة وهذا ما يدل على الجانب العملي من تفكيره، حيث رأى أن البلاد في حاجة إلى مهندسين لتعهد لهم أعمال العمران فيها، فبدأ بتعليم الهندسة.[5]

غير أن هذه المدرسة لم تف على مر السنين بحاجات البلاد من المهندسين، فأنشأ الباشا في عام 1834 مدرسة أخرى وهي مدرسة المهندسخانة في بولاق، وعيّن آرتين أفندي احد خريجي البعثات العلمية وكيلا لها، ثم تولى

---

[1]- نوار سليمان عبد العزيز، المرجع السابق، ص٢٤٨.

[2]- طوسون عمر، البعثات العلمية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص378.

[3]- حوراني ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939)، تر: عزقول كريم، دار النهار، بيروت، ص75.

[4]- سيار الجميل، المرجع السابق، ص349.

[5]- الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص397.

مديريتها "يوسف هاككيان أفندي" ثم تولاها "علي باشا مبارك" ومن هذه المدرسة تخرج عدد كبير من المهندسين الذين قدموا للبلاد خدمات جليلة وشاركوا في بناء القناطر والسدود وغيرها من المنشآت العمرانية التي زخر بها عصر محمد علي.[١]

– **مدارس الطب**: أسس محمد علي مدرسة للطب عام 1827 إجابة لاقتراح الدكتور "كلوت بك"* إلى جانب مستشفى الجيش "بأبي زعبل" ليسهل على الطلاب الدراسة العلمية، وقد اعترض كلوت بك صعوبات كثيرة في بادئ الأمر، غير أن هذا الأخير بذل كل ما بوسعه حتى استطاع التغلب عليها، حيث كانت صعوبة اللغة التي يدرس بها هي اخطر هذه الصعوبات فكان هؤلاء الأساتذة لا يعرفون غير الفرنسية أو الايطالية، لذلك عمد كلوت بك إلى تعيين عدد من المترجمين، لينقلوا الدروس عن الأساتذة إلى الطلاب، وبعد خمس سنوات من إنشائها تخرجت الدفعة الأولى من الأطباء توزعوا على المستشفيات وفيالق الجيش،[٢] والحقت بها مدرسة الولادة التي أنشئت سنة ١٨٣٢م في السنوات الأولى من تأسيسها كانت تلميذاتها من السودانيات والحبشيات تعلمن فيها اللغة العربية وفن الولادة وألحق بمدرستهن مستشفى صغير للنساء ثم نقلت المدرسة من أبي زعبل إلى القاهرة.[٣]إضافة إلى مدرسة الطب البيطري التي تولى إدارتها المسيو "هامون"،[٤]وفي عام1837 نقلت المدرسة والمستشفى إلى (قصر العيني) لتكون داخل العاصمة فأدى وجودها في قلب القاهرة إلى نشر التعليم الطبي في مصر.[٥]

– **مدرسة الصيدلة**: أنشئت بعد إنشاء مدرسة الطب بثلاث سنوات1830 كان مكانها الأول في القلعة، ثم ألحقت في نفس السنة بمدرسة الطب بأبي زعبل تحت إشراف الدكتور"لويس ألساندرى" Alessandri .[٦]

ـ **مدرسة الألسن**: حاول رفاعة الطهطاوي تجديد التأليف في قواعد العربية وقدم مشروعا لإنشاء مدرسة الألسن لإعداد المترجمين والمدرسين، فافتتحت عام 1835، واختير سراي الألفي بالأزبكية مكان لها وفي عام 1837أصبح رفاعة رافع الطهطاوي مدير لها،[٧]كانت هذه المدرسة بمثابة أكاديمية لنشر الثقافة في مصر. فقد كانت تدرس فيها اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية، هذا بالإضافة للآداب العربية والتاريخ والجغرافيا، وهناك مدارس أخرى عالية مثل

---

[١]– بدوي جمال، المرجع السابق، ص35.

* كلوت بك: طبيب فرنسي مدير مدرسة الطب ومفتش عموم الصحة، أستدعاه محمد علي في عام ١٨٢٥ ليكون طبيباً ورئيساً لجرحى الجيش المصري، سعى منذ إلتحاقه بخدمة محمد علي للقضاء على سيطرة الإطاليين وإحلال الفرنسيين محلهم (أنظر: جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص١٨).

[٢]– الشيال جمال الدين، المرجع السابق، ص18.

[٣]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص401.

[٤]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص403.

[٥]– جاد طه، المرجع السابق، ص62.

[٦]– الشيال جمال الدين، المرجع السابق، ص22.

[٧]– الدوري عبد العزيز، المرجع السابق، ص136.

مدرسة المعادن بمصر القديمة تأسست عام 1834 ومدرسة الفنون تأسست عام 1839 ومدرسة الزراعة وغيرها من المدارس العالية والخصوصية التي قام الباشا بتأسيسها في عهده قصد النهوض بالبلاد من الناحية الثقافية.

ثانيا– المدارس الابتدائية أو التجهيزية:

من المعلوم أن محمد علي لم يبدأ النهضة التعليمية في المدارس الابتدائية إلا بعد تأسيس المدارس الخصوصية السالفة الذكر، حيث عمل هذا الوالي جهده في تنوير الشعب وبدأ منذ عام1827 بفتح المدارس المختلفة فأنشأ أربعين مدرسة ابتدائية بالوجه البحري وست وعشرون بالوجه القبلي ومدرستين تجهيزيتين: إحداهما "بالقاهرة" والأخرى "بالإسكندرية".[1]

أ– مجانية التعليم: ومما يلاحظ أن التعليم كان في كافة المدارس يتم بطريقة مجانية والحكومة تنفق على التلاميذ وتمنح لهم منح، فلم يكن الأهالي في بادئ الأمر راضين عن إدخال أبنائهم فيها، لكن ما لبثت أن تغيرت وجهة نظرهم من هذه الناحية وأدركوا ثمرات التعليم فكفوا عن هذه المعارضة واقبلوا على تعليم أبنائهم،وفي هذا الشأن يذكر كلوت بك أن عدد التلاميذ بمدراس القطر المصري بلغ في عهد محمد علي تسعمائة تلميذ، تتولى الحكومة الإنفاق على تعليمهم وسكنهم وغذائهم وملبسهم.[2]

ب– إنشاء المطابع وإصدار الصحف: كانت **المطبعة الأميرية** في بولاق أول مطبعة أنشئت في عهد محمد علي وقد تأسست عام ١٨٢٠ولكنها بدأت عملها عام ١٨٢٢، وكان الغرض من إنشاءها هو طبع الكتب المدرسية والعسكرية ومع مضي الوقت أزداد عدد المطابع في مصر وصارت تنشر بالإضافة إلى الكتب المدرسية كتب في الآداب والفنون، وبالنسبة للصحافة فقد أصدر الباشا أمره بإنشاء الصحيفة الرسمية "**الوقائع المصرية**" باللغتين العربية والتركية في ٠٣–ديسمبر–١٨٢٨ وكان الغرض من إنشائها كما جاء في العدد الأول هو نشر أوامر وتعليمات ديوان الخديوي وكذلك الأخبار المصرية واعتبارا من عام ١٨٤٢ تقرر أن يعهد إلى رافع رفاعة الطهطاوي بترجمة بعض ما يرد في الصحف الأجنبية علاوة على الأوامر الحكومية.[3]

---

[1]– صبري محمد، المرجع السابق، ص56.

[2]– الرافعي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص406– 407.

[3]– جاد طه، المرجع السابق، ص٦٥.

مصير إصلاحـــــات محـــمد علي باشا

المبحث الأول: مشروع الدولة العربية الكبرى وتأثيره على مسار الإصلاحات

المبحث الثاني: عوامل فشل الإصلاحات في مصر ونجاحها في اليابان

الفصل الثالث: مصير إصلاحات محمد علي باشا

كانت إصلاحات محمد علي باشا تجربة رائدة في الوطن العربي، لها ما لها وعليها ما عليها، ونحن من خلال هذا الفصل نطمح لتقييمها وعرض نتائجها الإيجابية والسلبية وأثرها على تطور مصر خاصة وأنها عاصرت ما عرف بإصلاحات العهد الميجي باليابان، وعليه حاولنا المقارنة بين مصير الإصلاحات بين البلدين، وما العوامل المتحكمة في ذلك، ما مدى صحة العبارة كون محمد علي باشا هو مؤسس الدولة المصرية الحديثة في نظر الكثير من المؤرخين المصريين والأجانب؟

آمن محمد علي بفكرة الإصلاح في الوطن العربي، ومارس عملياته الأولى في مصر من خلال الإصلاحات التي قام بها.فما هو الإصلاح؟ خاصة الإصلاح السياسي الذي أعتمده محمد علي باشا لتجسيد حلمه في بناء دولة عربية كبرى.

مفهوم الإصلاح*: فقد تعرفه الموسوعة السياسية بأنه تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو ليس سوى تحسين في النظام السياسي والاجتماعي القائم دون مساس بأسس النظام،[1] والإصلاح يقوم على إيجابية تتعدى صلاح الفرد إلى صلاح المجتمع كما أنه من الناحية السياسية هو تحسين للنظام السياسي من أجل إزالة الفساد والاستبداد، وتعتبر ركنا أساسياً مرشحاً للحكم الصالح ومن مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات، وفعالية الإنجاز وكفاءة الإدارة، وتحديداً للحياة السياسية وتصحيح مساراتها والفصل بين السلطات وتحديد العلاقات فيما بينها.[2]

نشير هنا أن هناك مستويين من الإصلاح فالمستوى الأول هو تقليد العالم الغربي والمجتمعات الأوروبية في بعض تقنياتها، أما المستوى الثاني فجاء بعد هذه المرحلة، وهو مستوى الإصلاح الجذري أو مستوى إعادة التفكير في هويتنا

* لغة: على انه ضد الفساد، صلح يصلح ويصلح صلاحا وصلوحا، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في أعماله وأموره، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، ويعرف أيضا بأنه أصلح حاله وأزال الفساد عنه.(أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار صاد، بيروت، د س، ص516 ومؤنس رشاد الدين، المرام في المعاني والكلام، دار الراتب الجامعية، بيروت، د س، ص518)

[1]- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، الموسوعة السياسية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د س، ص206.

[2]- بريش محمد، مفهوم الإصلاح نحو إصلاح لفهم الإصلاح، شبكة الألوكة، مصر، د س، ص14.

كمسلمين وكعرب وكحضارة ساهمت في تغيير مجرى الحضارة الإنسانية،[1] ويمكن القول أن المستوى الأول من الإصلاح أنه هو الذي لجأ له أو أعتمد عليه محمد علي باشا في بناء دولته الحديثة.

المبحث الأول: مشروع الدولة العربية الكبرى وتأثيره على مسار الإصلاحات

تطلع محمد علي باشا إلى بناء إمبراطورية عربية كبرى على أنقاض البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية (في الحجاز وبلاد الشام والعراق) معتمداً على مبدأ القومية العربية وقد صرح ابنه إبراهيم باشا بأن شمس المنطقة العربية جعلت الدماء التي تسري في عروقهم دماء عربية، وتعرف الدولة* بأنها الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والناظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، بحيث تمتلك الدولة حق إصدار القوانين وتطبيقها بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنظام وتحقيق التقدم في الداخل والأمن من العدوان في الخارج.[2] والدولة الحديثة مع تعداد أشكالها فقد توسعت وظائفها والتي تمثلت في:

وظائف تقليدية: تتمثل في توفير الأمن وتطبيق العدالة وإنشاء محاكم وتنظيم القضاء إضافة رعاية العلاقات الخارجية مع الدول وتمويل المؤسسات العسكرية والأمنية والمدنية وإصدار العملة.أما وظائف الدولة الحديثة فقد تجاوزت حدود الوظائف التقليدية فأصبحت تمارس أدوار أساسية في توفير الرفاه الاقتصادي والاجتماعي لمواطنيها وتوفير الخدمات الأساسية والتي تتمثل في التعليم والرعاية الصحية والمواصلات وخدمات المياه والكهرباء والصرف الصحي وإنشاء الموانئ والمطارات والاتصالات. فإلى أي مدى وفق محمد علي في تأسيس دولته؟ خاصة أن محمد علي أسس دولته بمبادرة من قادة الرأي العام بمصر من علماء وشيوخ وتجار وغيرهم عندما قرروا حق المصريين في توليته حكم مصر بدلا من الوالي العثماني، فكان أول ما قام به في تكوين دولة مصرية حديثة هو إزالة العقبات التي كانت تواجهه، والإنفراد بالحكم لتحقيق طموحاته الشخصية.[3]

---

[1]- إبراهيم طالب، الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983، ص416.

* لغة:بضم الدال اسم الشيء الذي يتداول به بعينه، وهذا المعنى ينطبق خاصة على المال الذي ينتقل من يد إلى أخرى، كما تدل لفظة دولة على السنن المتغيرة، والدولة بالفتح تشير إلى حالة الانتصار في الحرب والانهزام فيها أي أن تدال إحدى الفئتين على أخرى كما يفهم من الدولة الغلبة والقوة.(أنظر: الجوهري إسماعيل بن عماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عطار أحمد عبد الغفور، مج4، دار العلم للملايين، بيروت، د س، ص1700 والكيالي عبد الوهاب وآخرون، المرجع السابق، ج١١، ص252)

[2]- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، المرجع السابق، مج2، ص703.

[3]- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، المرجع نفسه، ص723.

انطلقت حملات محمد علي التوسعية من الجزيرة العربية بحملة ضد الوهابيين بعد أن أدرك أهمية هذه المنطقة وبعد نجاحه فيها أصبحت معظم الجزيرة جزءاً من دولة محمد علي،[1] وأقدمت الجيوش المصرية على التوسع في جميع الأقاليم العربية المجاورة لمصر والمنتجة اقتصاديا.[2]

عمد محمد علي إلى توسيع المجال الحيوي لمصر عن طريق التوسع في السودان، وزحفت جيوش بقيادة ابنه إسماعيل على السودان واستولت عليه، ولم يتخاذل محمد علي الذي لا يتطرق الوهن إلى عزيمته أمام الفوضى الضاربة أطنابها في ذلك القطر المتسع الأرجاء، فأرسى فيه قواعد الحكم والإدارة، وقام محمد علي باشا بتعيين حكمدار للسودان هو محمد بك الدفتردار يجمع بين السلطة المدنية والعسكرية بالتنسيق مع وزارة الداخلية في مصر. وقام الحكمدار ببناء مدن جديدة، وقسم السودان إدارياً إلى محافظات ومديريات وأقسام كما فعل في مصر، وبذلك دانت السيطرة لمحمد علي على السودان واستمرت حتى الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م.[3]

وعد السلطان العثماني محمد علي باشا بتوليته على بلاد الشام لقاء خدماته الجليلة للسلطنة، لكنه عاد وأخلف الوعد خوفًا على وحدة أراضي الدول، وهكذا خرج محمد علي باشا من الحرب اليونانية من دون أن يظفر بفتوح جديدة، ولم يُحقق أي استفادة من الاشتراك فيها، في حين انتهت الحرب مع الوهّابيين ببسط نفوذه على شبه الجزيرة العربية، وأتاح له دخول السودان ضم الجزء المتمم للأراضي المصرية.[4]

أولا: حملتا محمد علي على بلاد الشام١٨٣١-١٨٣٩

سعت الدول الأوروبية وبخاصة إنجلترا إلى إثارة الحرب والصراع بين العثمانيين ومحمد علي، وسعت أيضا إلى إطالة أمد هذه الحرب بين الجانبين لإضعافهما واستنزاف قوتهما المالية والبشرية حتى تتحقق الأطماع الأوروبية الاستعمارية في اقتسام تركة الرجل الأوروبي المريض.

[1]- قدوره زاهية، شبه الجزيرة العربية (كياناتها السياسية) ، دار النهضة العربية، بيروت، د س، ص٣١.

[2]- لوسون فرد، الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية لمصر في عهد محمد علي، تر: الشهاوي عنان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٥.

[3]- جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية ،ط٨، تر: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م ص84.

[4]-http://forums.fatakat.com/thread3929158.23-05-2015/19h20 .

١- الحملة الأولى ١٨٣١-١٨٣٢

كانت بداية هذه الحرب، عندما منح السلطان العثماني جزيرة "كريت" لمحمد علي كتعويض عما فقدته مصر في الحرب اليونانية، لكن هذا التعويض لم يكن ذا قيمة، ورأى محمد علي أن ضم بلاد الشام إلى دولته الفتية يدفعه إلى ذلك عاملين هما:

١-العامل السياسي: هو اتخاذ بلاد الشام حاجزا يقي مصر الضربات العثمانية في المستقبل من جهة، وإنشاء دولة عربية من جهة أخرى.[١]

٢- العامل الاقتصادي: أراد استغلال مواردها الاقتصادية من الخشب والفحم والحديد والنحاس التي كانت تفتقر إليها مصر، فضلا عن أهميتها الاقتصادية بسبب موقعها الجغرافي واتصالاتها بالأناضول وعلاقاتها التجارية بأواسط آسيا حيث تمر قوافل التجارة.[٢]

ساعده على ذلك ضعف الدولة العثمانية بعد الحرب اليونانية، ثم الحرب الروسية عام ١٨٢٩، إضافة إلى ذلك أن محمد علي استطاع أن يجذب إليه الأمير "بشير الشهابي" كبير أمراء لبنان، وبذلك لم يخشى مقاومة الشاميين للجيش المصري.[٣]

استغل محمد علي إيواء والي صيدا "عبد الله باشا" لعدد من الفلاحين المصريين الهاربين من السخرة والضرائب والخدمة العسكرية، ليجرد حملة عسكرية لتأديبه بقياده ابنه إبراهيم باشا في أكتوبر ١٨٣١ واستطاعت القوات المصرية أن تحقق انتصارات عظيمة في بلاد الشام وإقليم أطنة وبذلك تعدت حدود مصر جبال طوروس وضمت نهر الفرات.[٤]

لم تنكسر عزيمة السلطان محمود أمام الهزائم التي ألحقت بجيشه، وأعد جيشا جديدا بقيادة الصدر الأعظم "محمد رشيد باشا" لمحاربة المصريين، لكن المصريين انتصروا في هذه المعارك وكان أهمها موقعة "قونية" ٢١ ديسمبر ١٨٣٢ التي فتحت الطريق أمام المصريين إلى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية.[٥]

---

[١]- أنطونيوس جورج، المرجع السابق، ص٨٤.

[٢]- الرافعي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٢١٩ .

[٣]-www. Wikipedia.rog.24-05-2015/08h30.

[٤]- قدورة زهية، المرجع السابق، ص٣١.

[٥]- العطار عدنان،الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، ط١، دار الأصالة، الجزائر، ٢٠١٠ م، ص ١٤٣.

الموقف الأوروبي: استفادت الدول الأوروبية من حالة العداء بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا، فلم يبد الإنجليز في البداية رغبة في مقاومة الفتوحات المصرية السريعة، بل زودوا المصريين بالذخيرة، أما فرنسا فكانت مرتاحة لاحتلال محمد علي لسوريا، بل حضته على إعلان الاستقلال والانفصال وتشكيل نظام سياسي وثيق الصلة بها،[1] ولما استحكم الأمر وظهرت القوة المصرية المتنامية تخلت الدول الأوروبية عن مصر ووقفت في صف الدولة العثمانية وتدخلت الدول الأوروبية بثقلها في المسألة المصرية، ودعت محمد علي إلى التفاوض وحثه عن التخلي نهائيا عن فكرة احتلال الأستانة، وعقدت معه صلح "كوتاهية" في ٤ ماي ١٨٣٣ حيث تنازل الباب العالي بموجبه عن كامل بلاد الشام*، وأقر لمحمد علي باشا بولاية مصر وكريت والحجاز، وبولاية ابنه إبراهيم باشا على جدة، مقابل أن يجلو الجيش المصري عن باقي الأناضول،[2] وبذلك انتهت المرحلة الأولى لحروب الشام لتبدأ مرحلة جديدة من الحرب.

٢- الحملة الثانية١٨٣٩

لم يكن صلح كوتاهية إلا صلح مؤقت، إذ أن محمد علي باشا لم يوافق على عقده إلا خشية من تهديد الدول الأوروبية بحرمانه من فتوحه، ومن جهته وافق السلطان محمود الثاني على عقده مكرهًا تحت ضغط الأحداث العسكرية والسياسية، وهو عازم على استئناف القتال في ظروف أفضل لاستعادة نفوذه في بلاد الشام ومصر، ولما كان التفكير السياسي لكل طرف على هذا الشكل من التناقض، كان لا بد من استئناف الحرب لتقرير النتيجة النهائية، حيث عمل السلطان العثماني على تحريض سكان بلاد الشام ضد الحكم المصري من جهة، وقام بحشد القوات لضرب الجيوش المصرية وإرغامها على الخروج من البلاد، بمساعدة بريطانيا، من جهة أخرى.[3]

أدرك محمد علي باشا بعد هذه التطورات، بأنّ مواقف الدول الأوروبية كانت لغير صالحه، وبأنّ خططه الانفصالية غير قابلة للتحقيق، لكنه لم يفقد الأمل باعتراف السلطنة بالحقوق الوراثية لعائلته في حكم المناطق التي كانت تحت إدارته، فعمل على إجراء محادثات جديدة مع مبعوث السلطان العثماني، لكنها انتهت بالفشل بسبب التصلّب في المواقف، وهكذا تطورت الأمور السياسية نحو التأزم، وأضحت الحرب بين الجانبين أمر لا مفر منه.[4]

---

[1] -http://wwws.tartimes.com/faspx.24-05-2015/08h40 .

* أنظر "الملحق رقم٠٨" ص٦٩.

[2]- العطار عدنان، المرجع السابق، ص ١٤٤.

[3]- طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب عن الخلافة، دار النفائس، بيروت، د س، ص٣٨٥ .

[4]- www.wikipedia.org 19-05-2015/21h50.

بدأت الحرب بين الطرفين بهجوم عثماني في ٢٤ جوان ١٨٣٩ على مواقع الجيش المصري في نصبين، حيث أنهزم العثمانيون في هذه المعركة*،[١] بعدها حاولت فرنسا مساعدة محمد علي بالعمل على أن يسوى الخلاف بينه وبين السلطان مباشرة دون تدخل من دول أوربا، وأوشكت تلك المساعي أن تنجح، لكن روسيا لم تلبث أن انضمت إلى الدول التي ألبتها بريطانيا ضد محمد علي،[٢] وأرسلت تلك الدول مجتمعة مذكرة إلى الباب العالي أن لا يعقد أية اتفاق مع محمد علي دون مشاركة الدول، وهكذا حالت تلك الدول دون الوصول إلى اتفاق مباشر بين الطرفين، ثم ما لبثت أن وقعت معاهدة لندن في جويلية ١٨٤٠ وكانت هذه المعاهدة هي الخطوة الأولى في التسوية الدولية للمسألة المصرية.[٣]

ثانيا: العوامل المؤثرة في مصير الإصلاحات

لم يدم الحال طويلا لمحمد علي في توالي سلسلة الانتصارات والإصلاحات فبدأت إصلاحاته في السنوات الأخير تأخذ منحى عكسي، متأثرة بعدة عوامل داخلية وأخرى خارجية

أ –العوامل الخارجية: تتمثل في تدخل القوى الأوروبية الفاعلة في شؤون الدولة العثمانية وتخوفها على مصالحها من توسعات محمد علي باشا في البلاد العربية ولدراسة المسألة المصرية** عقدت معاهدة لندن ١٨٤٠.

–معاهدة لندن ١٨٤٠: أدركت الدول الأوروبية خطورة محمد علي على التوازن الدولي الذي تم إقراره في فيينا عام ١٨١٥م، بعد التخلص من نابليون بونابرت[٤] لذلك أجتمع ممثلو هذه الدول (إنجلترا، روسيا، بروسيا، النمسا، الدولة

---

* أنظر "الملحق رقم٠٧" ص٦٨.

[١]– الغربي غالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (١٢٨٨–١٩١٦)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠١١، ص١٩١.

[٢]– علي بلال هدى، "الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠م–١٨٤١م،" **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد ١٠ العدد٤، [ب م]،[ب د]، ٢٠١١م، ص٣٤٧.

[٣]–عفيفي محمد، عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org.23-05-2015/18h40.

** المسألة المصرية: ظهرت منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨، واتخذت منحى جديد عندما أسس محمد علي الدولة المصرية الحديثة، واقترنت بالمسالة الشرقية عندما دخلت مصر والدولة العمانية في الحرب السورية، فاشتدت منازعات الدول الأوروبية بشأنها وظهرت المطامع القديمة التي كانت تسعى لها كل دولة حيال الدولة العثمانية أنظر: www.wikipedia.org.24-05-2015/08h50

[٤]– عفيفي محمد، "عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org.23-05-2015/18h40

العثمانية) في لندن وأبرموا معاهدة لندن في ١٥جويلية١٨٤٠[١] برعاية المرستون- وزير الخارجية البريطاني-،كان الهدف منها المحافظة على استقلال تركيا وسلامة أراضيها والمحافظة على مصالح الدول الأوروبية، كما قررت تقليص قوة محمد علي، وذلك بفرض شروط عليه تمثلت في:

-تخلي محمد علي عن كريت والحجاز وأطنة.

- إبقاء حكم مصر والسودان وجنوب الشام (عكا) وراثيا في أسرة محمد علي مدى حياته.[٢]

إذ لم يقبل بهذه الشروط خلال عشر أيام تنقص حقوقه من حكومة عكا، إذا تأخر عشرة أيام أخرى سوف يتم إرغامه بالقوة وتقوم الدول الموقعة على المعاهدة بحماية السلطان إذ ما تحركت قوات محمد علي ضده.[٣]

قرر محمد علي باشا رفض هذه الشوط بتشجيع من فرنسا التي ما لبثت أن تخلت عنه، فاضطر محمد علي لقبول هذه الشروط،[٤]وفي١٤في سبتمبر١٨٤٠ أصدر السلطان العثماني فرمان نص على عزل محمد عن ولاية مصر لرفضه شروط المعاهدة، فتدخلت الدول الأوربية الموقعة على المعاهدة وطلبت من السلطان العثماني إعطاء محمد علي حكم مصر وراثيا له ولأبنائه من بعده، وكان هذا الحكم لا يتعارض مع سيادة الباب العالي، كما لا يتعارض مع الواجبات المفروضة على محمد علي كحاكم لإحدى الولايات العثمانية.[٥]

- فرمان ١٤-فبراير-١٨٤١م: أصدر لسلطان العثماني فرمانا آخر ينص على:

- يبقى حكم مصر وراثي داخل أسرة محمد علي على أن يعين الوالي من طرف الباب العال، ولا يتمتع أبناء بناته بحق تولي العرش.

- سك النقود باسم السلطان العثماني وعلى مصر دفع جزء من إيراداتها للباب العالي.

---

[١] الأنصاري ناصر، المجمل في تاريخ مصر، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢١٧.

[٢]- عفيفي محمد، "عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org.23-05-2015/18h40

[٣]- البدري محمد عبد الستار، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٩٨.

[٤]- الدسوقي عاصم، محمد علي وبناء الدولة الحديثة في مصر"، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١١-أبريل- ٢٠٠٧ منشورة في الموقع الإلكتروني: www.marefe.org/index/php.23-05-2015/18h30

[٥]عفيفي محمد، "عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org.23-05-2015/18h40

– الالتزام بتطبيق المعاهدات التي يبرمها السلطان العثماني مع أي دولة.[١]

– تحديد الجيش المصري ب١٨٠٠٠جندي وعدم بناء سفن حربية دون موافقة السلطان العثماني واعتبار القوات المصرية جزءا من القوات العثمانية.[٢]

وافقت الدول الأوربية على هذا الفرمان وأعتبر اتفاقا دوليا، لكن محمد علي اعترض عليه، فتدخلت الدول الأوربية لدى الباب العالي فأصدر السلطان العثماني فرمانيين آخرين الأول في ٢٣-ماي- ١٨٤١م والثاني جوان ١٨٤١م هذين الفرمانين نظما من خلالهما حكم مصر وأصبح وراثيا للأكبر من أبناء محمد علي وأسرته من بعده، ولم يبقى للسلطان حق اختيار الوالي على مصر، كما حددت الجزية التي يجب على محمد علي دفعها وقدرت ب٤٠٠ ألف جنيه.[٣]

حددت هذه التسوية وضع مصر السياسي، واكتسبت صفة دولية فلم يعد بإمكان الدولة العثمانية أو مصر تعديلها إلا بموافقة الدول الموقعة عليها، وبذلك أعادت هذه التسوية مصر إلى التبعية العثمانية ووضعت تحت وصاية دولية.[٤]

كانت هذه المعاهدة تتماشى ومصالح الدول الأوروبية حيث فرض على مصر تطبيق نظام الامتيازات الأجنبية وتم فتح باب التجارة الأوروبية،[٥] وألغي نظام الاحتكار وأصبح باستطاعة التجار خاصة الإنجليز بيع القطن المصري بحرية تامة ومباشرة من المنتجين أو بواسطة وكلائهم، كما أصبحوا يصدرون بضاعتهم إلى مصر مقابل دفع رسوم ضئيلة.[٦]

أدت معاهدة لندن إلى انهيار جميع مشروعات محمد علي الإصلاحية والنهضوية والتوسعية وقتلت تجربته الصناعية والعسكرية،[٧] فقام بغلق العديد من المصانع التي أنشأها. ولم يعد مهتما بالمنظومة التعليمية التي كان حريصا عليها إضافة إضافة لهذا فقد قيد نشاطه الاقتصادي وسيطرت الدول الأجنبية على مالية مصر، ونهبت مرافقها وانتشرت فيها منشآت

[١]– عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص٢٤٤.

[٢]– عودة عبد الله، إبراهيم الخطيب، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية، عمان، ١٩٨٩، ص٤٥.

[٣]– الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج٦، المرجع السابق، ص٢٠٩.

[٤]– الكيالي عبد الوهاب، نفسه، ص٢١٠.

[٥]–طربين أحمد، المرجع السابق، ص١٣٨.

[٦]–عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص٢١٥.

[٧]– غنيمي الشيخ رأفت، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٢ ص٥٤.

أجنبية من شركات وبنوك،[1] وبسبب تردي الأوضاع المالية لمصر قام الباشا بتسريح عدد كبير من جنوده كما ألغى الكثير المدارس الابتدائية وخفض من عدد طلبة المدارس الحربية و الخصوصية وخفض أيضا من منحهم.[2]

أستمر حكم محمد علي بعد هذه المعاهدة، وظل الباشا يحارب التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية لمصر وسعى إلى ربط علاقات سياسية مع الدولة العثمانية حيث قام بزيارة الباب العالي عام ١٨٤٦م، وذلك حتى لا يحدث تقارب بين إنجلترا والدولة العثمانية، ما قد يؤدي إلى وقوع مصر تحت الاستعمار البريطاني.[3]

ب– العوامل داخلية: منها ما تعلق بمحمد علي نفسه ومنها ما تعلق بخلفائه من بعده وهي كالآتي:

ما تعلق بمحمد علي حيث أنه في أواخر عهده أثقل كاهل الأهالي بالضرائب، كما أن حكومته أكثرت من احتكار المواد الغذائية والصناعات، مما أثار الأهالي ضده، وقد لقيت هذه الثورات دعما من الدولة العثمانية ومنها ثورة الدروز ١٨٣٧م في بلاد الشام، وكان من نتائج هذه الثورات أنها أرهقت الإدارة المصرية وأدت إلى توتر العلاقات بين الحكومة والشعب،[4]كما أن محمد علي كان قد وقع في أخطاء جسيمة أدت إلى فشل مشروعاته الإصلاحية، ومن ذلك أن اعتماده على تجنيد على أبناء الفلاحين أدى إلى تدهور الزراعة كما أنه اعتمد في جميع إصلاحاته على الدول الأوروبية وهمش أبناء البلاد، فوقع تحت سيطرة هذه الدول وتدهورت أوضاع مصر وفشلت مشروعات محمد الكبيرة التي لم تتفق مع سياسات الأوروبيين.[5]

أما ما تعلق بخلفائه فلم يتمتعوا بنفس عزم وإرادة محمد علي خاصة "عباس باشا الأول"[*]الذي تول الحكم في أواخر حياة جده فبعد ثمانية سنوات من عقد معاهدة لندن 1840م بدأ حكم محمد علي يتلاشى لأسباب صحية إذ لم يعد قادرا على الاضطلاع بأعباء الحكم، حين أصيب بحالة من الجنون الارتياب، وأصبح مشوش التفكير مع فقدان الذاكرة نتيجة تقدمه في السن وأصيب بمرض "الزهايمر"، فعزل من طرف أبنائه وتولى الحكم القائد القوي ابنه إبراهيم باشا، لكن

---

[1]–عزت أحمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص٢٣٢.

[2]–عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص٢٤٤.

[3]– عفيفي محمد، "عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org 23-05-2015/18h30

[4]– مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني)، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٣، ص٢١٧.

[5]–هريدي صلاح، المرجع السابق، ص٢٢٠.

[*] عباس باشا (١٨١٣–١٨٥٤): هو عباس حلمي ابن طوسون باشا وهو أحد حكام الأسرة العلوية التابعة اسميا للدولة العثمانية حكم مصر من (١٨٤٨م–١٨٥٤م) ويعتبر عهده عهد رجعة وقفت فيه حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد جده محمد علي باشا.(أنظر: الموقع الإلكتروني (www.wikipidia.com 22-05-2015/20h15).

وافته المنية بعد ستة أشهر من توليه الحكم في 10نوفمبر1848 بعد أن تمكن منه مرض السلّ الرئوي، وما لبث محمد علي أن توفي بعد ابنه إبراهيم في قصر "رأس التين" بالإسكندرية في ٠٢ أوت ١٨٤٩ ودفن في الجامع الذي بناه في القلعة بالقاهرة.[١]

خلف "عباس ابن طوسون باشا"، في الحكم عمه إبراهيم غير لم يهتم لأمر البلاد بل أحدث تخلفا في مختلف الأعمال التي أنجزها جده ولم يلتفت لمصلحة البلاد والعباد،[٢] فأغلق المدارس والمصانع أما إدارة البلاد فأصبحت إدارة فاسدة لم يرض بها أحد،[٣] كما أهمل الجيش وجرد المصريين من السلاح، وقام بإدماج الارناؤوط في الجيش، وقضى على النهضة التعليمية بحيث أستدعى البعثات العلمية التي كانت في أوروبا، ونفى بعضهم إلى السودان كما فعل مع رفاعة الطهطاوي.[٤]

هكذا أتم عباس باشا ما بدأته معاهدة لندن وقضى على جميع المشروعات والطموحات التي سعى جده لتحقيقها

ثالثا: أثر إصلاحات محمد علي باشا على مصر: كان لإصلاحات محمد علي أثار إيجابية وأخرى سلبية :

أ-**الآثار الإيجابية:** يمكن إدراجها في مايلي:

تكوين جيش نظامي من أبناء الفلاحين حيث جعل من مصري رجل يحب ويفتخر بالانضمام للخدمة العسكرية بعد أن كان يتهرب منها ويكره الدخول في صفوف الجيش حتى إذا كان دخوله دفاعا عن وطنه، كذلك ان محمد علي هيأ من بين المصريين أنفسهم مثقفين للعمل لديه وبذلك لم يهمش الطبقة المثقفة في مصر،[٥] بالإضافة إلى هذا أن محمد علي لم يفرض على مصر نظاما اقتصاديا جديدا وإنما حدث النظام القائم ووسع مجالاته، كما أن نظام حكمه كان بمثابة استجابة لمتطلبات النظام الاقتصادي الذي ولد في مصر خلال القرن الثامن عشر قبل توليه السلطة، ذلك وأن تحديث مصر لم يأت من فراغ، بل أن الدولة المصرية التي بناها هذا الباشا لم تولد من ذات

[١]- منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخرافة وسلاطين بني عثمان، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2013، ص449.

[٢] -بدوي جمال، المرجع السابق، ص١١٨.

[٣]- هيكل محمد حسين، "نهضة الإصلاح في مصر: تاريخها، قواعدها، غرضها،" جريدة السياسة الأسبوعية، ٣٠-١٢-١٩٣٠م، د ص.

[٤]-بدوي جمال، المرجع السابق، ص١١٩.

[٥]- لوتسكي، المرجع السابق، ص70.

نفسها، إذ أن لها سوابق ومرجعيات تاريخية تعود إلى القرن الثامن عشر، فقد كان هناك في مصر خلاله حلف قائم بين المماليك والتجار الذين كانوا يحركون بعملياتهم التجارية السوق الاقتصادية بالأراضي والبيئات العثمانية.[١]

أما في مجال الزارعة فقد ساعدت السياسة التي اتبعها محمد علي على دخول كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية المصرية إلى الأسواق الأوروبية المزدهرة، وفتح بذلك آفاقا جديدة للتجارب المصرية كما جذب إلى مصر عددا من التجار الأوروبيين نقلوا معهم كثيرا من المهارات الفنية الغربية والعملاء الغربيين، حيث غيرت هذه التطورات الشكل العام لتجارة مصر كلية، فارتبطت ارتباطا وثيقا بأوروبا، وبإدخال مصر في فلك التجارة الأوروبية، وبالتالي لم يكن هناك مفر أمام محمد علي من اتصال مصر بالحضارة الغربية.[٢]

أما فيما يخص التعليم فإن محمد علي نجح في بناء مؤسسات تربوية وتعليمية مستبدلا بالأساليب القديمة طرقا حديثة متخذا من فرنسا مثالا للرقي والازدهار وقام بإرسال البعثات العلمية لها.

ب–الإخفاقات: تمثلت ابرز النتائج السلبية التي رافقت عمليات محمد علي في تحديث مصر فيما يلي:

أن آراء محمد علي لم تكن صائبة بل اعتمد على خياله المتوقد، وقد أدى ذلك إلى وقوعه في أخطاء جسيمة وعلى رأسها تلك المحاولة التي قام بها من اجل تكوين جيش ضخم بجمع عدد من أبناء الشعب مما أدى إلى نقصان الأيدي العاملة في الزراعة،[٣] ومما يأخذ عليه في مجال الإدارة هو أن المصريين في عهده ينعمون بالرفاهية ولكنهم كانوا يفتقدون الحرية، حيث أن الحكومة كانت تراقب أعمال الناس وحركاتهم وأقوالهم،[٤] بالإضافة إلى هذا فقد لعب الفرنسيين دور كبير في الحكومة المصرية، وقد استعان محمد علي بالعديد منهم للعمل في حكومته منهم المهندسين والمعلمين والضباط الذين ساعدوه في فرنجة إدارة البلاد.[٥]

أما في مجال الزراعة أن محمد علي لم يقرر الملكية الفردية للأرض في عهده وهذه سلبية تحسب عليه لان الملكية الفردية من أهم مبررات الخلق والابتكار والإنتاج ولكنه كان يرى في اعتباره أن هذا النظام نظام مؤقت أو مرحلة انتقالية تمهيدا لتطوير نظام الزراعة لإدخال الزراعات الجديدة.[٦]

---

[١]– الجميل سيار، المرجع السابق، ص351.

[٢]– عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516–1922)، المرجع السابق، ص323.

[٣]– هريدي صلاح، المرجع السابق، ص218.

[٤]– صبري محمد، المرجع السابق، ص138.

[٥]– لوتسكي، المرجع السابق، ص70.

[٦]– حلمي سهير، المرجع السابق، ص81.

كلفت التجربة الصناعية التي قام بها محمد علي مصر تضحيات كبيرة كانت في النهاية بالغة الضرر بالبلاد لأنها قضت على الصناعات اليدوية القديمة.[١]

أما في مجال التعليم فلم تكن المشاريع التي قام بها محمد علي في هذا الميدان كافية لتغطية ما تطلبه التحديث من أجهزة ومرافق وأدوات، خاصة في الدراستين الإعدادية والمهنية، بالإضافة إلى انخفاض المستوى الفني للعمال الذين عجزوا عن استغلال الآلات بكفاءة وجدية.[٢]

هذه السلبيات لم تمنعه من أن يكون أكثر حكام عصر استنارة ورقيا، فقد استطاع أن يزحزح القوالب القديمة في مصر كي يجعلها دولة حديثة ذات اقتصاد حديث أثرت في بلورة مفاهيم جديدة في المجتمع المصري خلال القرن التاسع عشر.[٣] كما أن تجربته أوضحت مدى أهمية موقع مصر ودوروها في المنطقة فوضعها بذلك في دائرة التحديث لذلك يمكن أن نطلق عليه مؤسس الدولة المصرية الحديثة.[٤]

المبحث الثاني: عوامل فشل الإصلاحات في مصر ونجاحها في اليابان

خاضت كل من مصر واليابان خلال القرن التاسع عشر تجربة تحديثية، تمثلتا في إصلاحات محمد علي باشا في مصر١٨٠٥-١٨٤٨م، إصلاحات العهد الميجي* في اليابان١٨٦٨-١٩١٢م فأدت كل منهما إلى نهضة*. فلماذا أخفقت الأولى في حين نجحت الثانية؟ ولإجابة عن هذا السؤال يجب أن نقارن بين هاتين التجربتين.

أرتبط قيام الدولة العربية الحديثة على أسس عصرية بولادة الدولة المصرية في عهد محمد علي، وشكل الإعلان عنها تحديا مباشرا للسلطة العثمانية التي اعتبرتها بمنزلة إعلان حرب على وحدة السلطنة، وتحد لسيطرتها يطرح شارل عيساوي في مقالته "لماذا اليابان"عدة أسئلة منها لماذا نجحت اليابان مقابل فشل التجربة المصرية في تحقيق أهدافها

---

[١]- هريدي صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ج2، المرجع السابق، ص217.

[٢]- الجميل سيار، المرجع السابق، ص352.

[٣]- الجميل سيار، المرجع السابق، ص353.

[٤]- عفيفي محمد، "عبقرية البطل والمكان: تجربة محمد علي مؤسس الدولة الحديثة"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني:-www.acreg.org.23-05-2015/18h40

*-العهد الميجي:هي الفترة الأولى من تاريخ اليابان المعاصر ١٨٦٨-١٩١٢ أطلق عليها اسم ميجي الذي يعني الحكومة المستنيرة، تلميحا للحكومة الجديدة التي تولت شؤون البلاد، كان هذا الاسم أيضا اللقب الرسمي للإمبراطور موتسو هيتو والمعروف بميجي تينو.أنظر: الموقع الإلكتروني www.wikipedia.org.26-05-2015/17h30

فقارن بين التجربتين فكان يرى أن وضع كانت في وضع أفضل من اليابان في القرن ١٩ وجاء مقاله بكامله دفاعا عن وجهة النظر هذه.[١] فما هي العوامل التي أثرت في التجربتين؟

أولا: العوامل المؤثرة في مسار التجربتين

استفادت اليابان من موقعها في طرف العالم القديم مما ساهم في الحد من خطر التدخل الخارجي فيها،كما استفادت من عزلتها فزاد بذلك التماسك الاجتماعي داخل اليابان وتوجهت نحو النمو الاقتصادي، عكس مصر التي تقع في قلبه العالم باعتبارها ملتقى للقارات الثلاث ما أدى إلى تعرضها لعدة غزوات كان آخرها الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م.[٢]

خضعت مصر لحكم الأجانب منذ قرون، إلى غاية وصول محمد علي للسلطة ١٨٠٥م والذي بدوره لم يكن يتكلم العربية والتي تعتبر اللغة القومية للبلد الذي أصبح تحت حكمه فهو ألباني الأصل، عثماني الجنسية، ضف إلى هذا فإن غالبية أفراد أسرته الذين حكموا لم يعطوا أي أهمية للغة العربية فظلت الهوة كبيرة بين ثقافة الحكام وعامة الشعب الذي ظلت ثقافته ثقافة عربية إسلامية باستثناء فئة قليلة من خرجي الجامعات الأجنبية، في حين أن اليابان بنت نهضتها على تقديس الأرض فالديانة اليابانية كانت تحث على تقديس الأرض وتعتبر إمبراطورها من سلالة الآلهة ولا يجوز أن تطأها أقدام أجنبية إلا بموافقة الإمبراطور، وقد شكلت نظرية الكوكوتاي –وتعني قدسية الأرض والإمبراطور– شكلت حجر الزاوية في الفكر السياسي الياباني الحديث والمعاصر فكانت القاعدة التي انطلقت إصلاحات عهد الميجي لبناء إمبراطورية يابانية لها مركزها في العالم.[٣]

كانت مصر مجرد ولاية عثمانية يحكمها والي عثماني تابع للسلطان وينفذ قراراته وليس له حق في اتخاذ أي قرار مستقل، رغم سعي محمد علي باشا للاستقلال عن الدواة العثمانية وذلك بإنشاء جيش لحماية دولته وإدارة له قوانينها الخاصة شبه المستقلة عن الباب العالي، ونظامها التعليمي والزراعي الخاص وقاعدتها الصناعية إضافة إلى سلسلة من الإصلاحات التي من شأنها تكوين دولة حديثة، بالمقابل كانت النظم اليابانية التي كانت سائدة في مرحلة توكوجاو* فحدثت تراكمات اقتصادية، بسبب سياسة العزلة عن العالم الخارجي ونتج عن ذلك أن شهدت اليابان

---

[١]– ضاهر مسعود، النهضة العربية والنهضة اليابانية(تشابه المقدمات واختلاف النتائج)، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص266.

[٢]– ضاهر مسعود، المكان نفسه.

[٣]– ضاهر مسعود،المرجع نفسه، ص267.

*– توكوجاو: (١٦٠٣–١٨٦٣) هي آخر فترات تاريخ اليابان القديم حيث مهدت لقيام عهد الميجي ومنها استعادت اليابان وحدتها السياسية وعرفت خلالها نوعا من الاستقرار السياسي.أنظر: www.wikipedia.org.٢٦-٠٥-٢٠١٥/١٧h40

تطورا في جميع القطاعات بفضل التراكم الاقتصادي من جهة، وبعيدا عن السلع الأجنبية منافسة للسلع المحلية من جهة أخرى.كما أن الحياة السياسية التي نظمها الدستور الياباني الجديد عام 1889م أعطت الإمبراطور صلاحيات مطلقة وأدت إلى تأسيس مجلس الأعيان يعين أعضائه الإمبراطور.[١]

تشابهت كل من تجربتي التحديث في مصر واليابان في البداية إلا أنهما انحرفتا فيما بعد فاتخذت كل منهما مخى بعيدا عن الأخرى، فزيادة قوات الجيش المصري في بداية عصر محمد وتقليصها في نهاية عصره ١٨٤٨م، راجع إلى سياسة الحكام بالأساس عند توليهم حكم البلاد على الرغم من إنفاق الحكومة مبالغ ضخمة على الجيش في حين أن اليابان صرفت ٢٠٠ مليون لتحديث الجيش البحري كما قامت بتشييد الثكنات العسكرية وأنشئ الحرس الإمبراطوري إلى جانب ست فرق حديثة التسليح.[٢]

عمل محمد علي على تطوير الإصلاح الزراعي لتأمين الضرائب ففي السنوات ١٨١١-١٨١٤م دمر الباشا دعائم العمل الزراعي المصري الذي كان سائدا في العصر المملوكي والغي نظام الالتزام واحتكرت الدولة الأراضي الزراعية، ولم تكن اليابان أحسن من مصر إذ عرفت هيمنة كبار الملاك على الأراضي وإجبار أبناء الفلاحين للالتحاق بالجيش والإدارة ومشاريع التصنيع في القطاع العام والخاص، وتأخر الإصلاح الزراعي إلى أن أقر الديت Diet – البرلمان الياباني– قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر تحت ضغط سلطة الوصايا الأمريكية على اليابان.[٣]

يمكن القول أن كلا من حركة التحديث في مصر واليابان قد وضعتا اقتصاد البلدين في خدمة تحديث القوى العسكرية لذلك بدأت حركة التحديث الاقتصادي مستفيدة من التكنولوجيا الغربية .وجمعت الحكومة كلا من البلدين ضرائب باهضة من قوى الإنتاج لتطوير الإنتاج العسكري في البلدين.[٤]

بقيت مصر حتى مطلع القرن19م تتبع التقاليد والأعراف الاجتماعية الإسلامية التي كانت سائدة في الدولة العثمانية وولاياتها الأخرى، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن أبناء الجاليات الوافدة قد امتلكوا مساحات زراعية واسعة، ولم يعملوا فيها بل استخدموا فيها عمالا مصريين لذا وظفت إصلاحات محمد علي لصالح الطبقة المسيطرة.[٥]

---

[١] – ضاهرمسعود، المرجع نفسه، ص268.

[٢]– نفسه، ص269.

[٣]– نفسه، ص272.

[٤]– نفسه، ص274.

[٥]– نفسه، ص279.

لقد اعتمدت تجربتا التحديث في مصر واليابان في البداية على استيراد التكنولوجيا الغربية والعلوم العصرية من الغرب فعملت كل منها على استيراد التكنولوجيا فعملت اليابان على تطويرها ونجحت في تحقيق مسعاها، في حين لم تفلح مصر في ذلك.[1]

ثانيا: انعكاسات الإصلاح على البلدين

لقد أستطاع محمد علي أن يبني دولة حديثة ذات جيش قوي واقتصاد قوي وإدارة حديثة، ولعب دورا بارزا في المنطقة سواء مع الدولة العثمانية أم ضدها، لكن مصر انتهت إلى ارتهان اقتصادها للدول الغربية وشركاتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ما ترك المجال أوسع للتدخلات في الشؤون المصرية، وغياب الاستقلال الاقتصادي والسياسي وأدى ذلك إلى استعمار مصر في عام 1882م من قبل الانجليز، ففي مقابل تعثر النهضة المصرية نجحت التجربة اليابانية؟ فلماذا نجحت النهضة في اليابان وتعثرت في مصر؟،[2] وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن الأسباب الآتية تبقى هي الأكثر أهمية وحسما:

١- قامت تجربة محمد علي في مصر على "التغريب الكامل"، وذلك بإدخال النظم والقوانين بل حتى معاونيه كانوا أجانب ومنهم الضباط والمحامين والإداريين والمشرفين على الصناعات وغيرهم، في حين أن التجربة اليابانية استفادت من النظم الغربية لكن تطبيقها كان اعتمادا أبناء البلاد دون غيرهم. فقامت على أساس "التوفيق" بين منجزات الحضارة الغربية وتراث الأمة اليابانية.

٢- نفذت تجربة محمد علي بتوجيهات ومبادرات "من أعلى إلى أسفل" دائماً، ومع تهميش دور الجماهير، بينما قامت التجربة اليابانية على أوسع مشاركة من المبادرات الفردية والأهلية.

٣- سادت في تجربة محمد علي أنواع وأشكال كثيرة من "القمع والاستبداد" خاصة عندما أراد الباشا تطبيق التجنيد الإجباري على أبناء الفلاحين، بينما اعتمدت التجربة اليابانية على قدر كبير من الممارسات الديمقراطية.

٤- تميز محمد علي في تحقيق مطامحه على التسرع في الإنجاز، بينما التجربة اليابانية لم تكن كذلك.[3]

---

[1]- ضاهر مسعود، المرجع السابق، ص291.

[2]- التوبة غازي، "قراءة في نهضتي مصر واليابان في القرن 19م"، **مجلة الوعي الإسلامي**، ع 532، 2009/12.

[3]- ذوقان قرقوط، "جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا"، **مجلة الوحدة**، الرباط، السنة الثالثة، العدد ٣٢/٣١/أبريل- ماي، ١٩٨٧، ص113.

كانت الدول الأوروبية سببا وراء فشل نهضة محمد علي حين تحالفت ضده إثر ما يعرف بالتسوية الدولية للمسألة المصرية كما أن خلفائه من بعده ساهموا في إفشال هذه التجربة أما اليابان فنهضتها استمرت ولم تشهد أي تدخل أجنبي.[1]

رغم فشل تجربة محمد علي إلا أنه لا يمكننا التقليل من مساعيه بالنهوض بمصر خاصة والوطن العربي عامة في إطار ما يعرف بمشروع دولة عربية كبرى، فهو شخصية عسكرية أدت دور كبير في تحديث مصر، ومهما كان له من مساوئ فيمكن أن نطلق علي مؤسس الدولة المصرية الحديثة، ولولا سعي الدول الأوروبية والدولة العثمانية ضده فيمكن أن يكون قدنجح في تأسيس دولة عربية كبرى، ولكن كيف لشخص تحالفت الدول ضده أن يصمد، فلو أن اليابان تعرض لمثل ذلك فيمكن أن تكون قد فشلت تجربتها.

[1]- التوبة غازي، "قراءة في نهضتي مصر واليابان في القرن 19م"، **مجلة الوعي الإسلامي**، ع 532، 2009/12.

الخاتمة

الخاتمة

توصلنا بعد دراستنا لموضوع محمد علي وتجربته الإصلاحية في مصر إلى مجموعة من النتائج يمكن درجها في الآتي:

- ✓ جاء محمد علي إلى مصر على رأس فرقة عسكرية أرسلها السلطان العثماني لإخراج الفرنسيين منها، وحينها كان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرون سنة قد أتاحت له هذه الفرصة إظهار مواهبه العسكرية، فدخل بذلك مسرح الأحداث في مصر، وقد قدر له النجاح في هذه المهمة التي مني فيها نابليون بالفشل.
- ✓ تمكن محمد علي بعد خروج الفرنسيين عام ١٨٠١ وعن طريق سلسلة من الإنجازات الصارمة أن يحسم الأمر لصالحه فأصبح حاكما لمصر بعد أن استمال العلماء والزعامات الشعبية فيها إلى جانبه ووعدهم بإن يحكم بالعدل وان لايبرم أمر إلا بمشورتهم فتوجه هؤلاء إلى السلطان العثماتي الذي بدوه اصدر أمرا نص على تعيين محمد علي حاكما على عام ١٨٠٥.
- ✓ ظلت سلطة محمد علي مزعزعة الأركان لأن توليته كانت ضد رغبة السلطان العثماني الذي كان يتحين الفرصة لعزله خوفا من أن يجهر يوما ما بالعصيان على الدولة العثمانية، كما واجه عدة مشاكل داخلية وخارجية منها قوة العلماء والزعامات الشعبية التي لعبت دوراً في توليه الحكم، فأصبح في هؤلاء تشكل خطرا على كرسيه خصوصا بعد إعتراضهم بعض خاصة معارضتهم على الضرائب الباهضة التي فرضها على الشعب المصري لذلك قرر التخلص منهم وإبعادهم عن دائرة سلطته وذلك بنفي بعضهم خارج القاهرة، وفي عام ١٨٠٧ داهمت حملة فريزر الإنجليزية السواحل المصرية وكان هدفها عزل محمد علي ومساعدة المماليك لإسترجاع حكمهم في مصر، لكنه أستطاع صد هذه الحملة بمساعدة الشعب المصري خاصة اهالي منطقة حماد ورشيد، وبالقضاء علي هذه الحملة لم يبقى أمامه سوى قوة المماليك الذين ظلوا في الساحة السياسية داخل مصر فكان يرى فيهم محمد علي أنهم قوة مناوئة لحكمه فدبر ضدهم مذبحة القلعة عام ١٨١١ وبذلك خلا له الجو في مصر.
- ✓ إنفرد محمد علي بالحكم عام ١٨١١ ولم تبقى أي قوى منافسة له فوجه إهتمامه لبناء دولة مصرية حديثة بإدخال إصلاحات في جميع المجالات العسكرية والإدارية والإقتصادية والتعليمية.

- ✓ كان محمد علي كرجل عسكري يدرك أهمية القوة العسكرية في مظاهرها المختلفة، ومن هنا اتجه ذهنه إلى بناء قوة عسكرية نظامية بدلا عن الفرق العسكرية غير النظامية، التي كانت تضم عناصر مرتزقة ومتمردة وأصبحت هذه الفكرة أكثر حماسا بعد حروبه في الحجاز ضد الوهابيين عام ١٨١١.
- ✓ نجح محمد علي في تكوين جيش حديث من المصريين مستعينا بخبرات فرنسية قدمها له الكولونيل سيف، كما شرع في بناء أسطول بحري وتحديثه وإنشاء دار صناعة في كل من بولاق والإسكندرية لصناعة السفن الحربية والتجارية.
- ✓ أوجد محمد علي حكومة منتظمة لتخدم أغراض مشروعات البناء والتنمية فأقام لكل مجال ديوان يختص بشؤونه ونتيجة لتوسع شؤون الحكومة وتعدد مهامها كوّن في عام ١٨٣٤ المجلس العالي من مدراء الدواوين ورؤساء المصالح، وفي عام ١٨٣٩ أنشأ مجلس الشورى يضم كبار موظفي الحكومة والعلماء والأعيان، كما أدخل إصلاحات هامة في القضاء ففي عام ١٨٤٢ إستحدث محمد علي الجمعية الحقانية.
- ✓ نظّم الإقتصاد المصري في الزراعة والصناعة والتجارة بإجراءات عرفت بالاحتكار وبهذا الأسلوب ضمن الدخول في سوق التجارة الدولية منافسا لغيره من الدول، ففي مجال الزراعة قام محمد علي بإلغاء نظام الالتزام عام ١٨١٤ وأعاد مسح الأراضي وأدخل أساليب زراعية جديدة وعمل على تحسين طرق الري والاهتمام بالتعليم الزراعي بإنشاء مدرسة للزراعة.
- ✓ نجح محمد علي في إقامة مصانع حكومية تتبع للدولة مباشرة لتوفير الصناعات المطلوبة وذلك باستقدام خبراء أوروبيين لتطوير الصناعة، كما أرسل البعثات العلمية إلى أوروبا خاصة فرنسا لدراسة مختلف فنون الصناعات.
- ✓ أهتم محمد علي بالتعليم على اختلاف درجاته سواء تعليم عالي أو ابتدائي بعد إدراكه أن الإصلاحات التي أقدم عليها لن تتم إلا بإيجاد منظومة تعليمية حديثة تحل محل التعليم القديم وهذا التعليم الحديث الذي أراده الباشا يجب أن يقتبس من أوروبا، قام محمد علي خلال المدة الممتدة من عام ١٨١٦- ١٨٣٩ بتأسيس المدارس الحديثة التي تخدم أهداف التنمية الاقتصادية والعسكرية، كما أوفد البعثات العلمية خلال المدة من ١٨١٣- ١٨٤٧ للدراسة في مختلف التخصصات.

- ✓ تميزت هذه الإصلاحات التي أدخلها محمد علي إلى مصر بأنها أخرجت مصر من الفوضى والتدهور الذي ظلت تعاني منه طيلة عهد المماليك. كما أنها مست جميع المجالات دون استثناء، وكانت مرتبطة ببعضها البعض فالحاجة إلى جيش نظامي حديث وإدارة كانت تتطلب وجود منظومة تعليمية حديثة.
- ✓ أراد محمد علي أن يبني دولة عربية كبرى تحت سلطته فقام بحملات توسعية في كل من السودان عام ١٨٢٠ وحملتين في بلاد الشام ١٨٣١- ١٨٣٩ ليكوّن دولة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية لكن عوامل خارجية وأخرى داخلية حالت دون ذلك وأدت إلى إجهاض مشروعاته الإصلاحية والتوسعية، تمثل العامل الخارجي في إتفاق الدول الأوروبية والدولة العثمانية على وضع حد لسياسته وقوته التي أصبحت تهدد مصالح هذه الدول جميعها فعقدوا معاهدة لندن عام ١٨٤٠ التي أحبطت مطامح محمد علي وفرضت عليه شروط قاسية وضعت حداً لإصلاحاته الإقتصادية والعسكرية والعلمية، كما وضعت حداً لتوسعاته الخارجية.
- ✓ تمثلت العوامل الداخلية التي أحبطت إصلاحات محمد علي أنه في اواخر عصره أقل كاهل الأهالي بالضرائب الباهضة ما أدى إلى قيام ثورارت ضده وضد حكمه في بلاد الشام، ضف إلى ذلك مرضه فلم يعد قادرا على التحكم في مجريات الأمور حيث تم عزله وتولى الحكم من بعده إبنه إبراهيم الذي كان يمكن أن يسير على نهج والده ويواصل تلك الإصلاحات لكنه توفي بعد ستة أشهر من توليه الحكم، أما العامل الداخلي الثاني فتمثل في خلفائه الذين لم يتمتعوا بنفس عزمه وإراداته خاصة عباس باشا الذي تولى الحكم بعد عزل عمه، فكان أول ما بدأ به هو نفي بعض العلماء إلى خارج مصر وكذلك إرجاع البعثات العلمية من اوروبا دون إنهاء دراستها وبذلك هدم كل تلك الإصلاحات التي أراد بها جده بناء دولة حديثة.
- ✓ خاضت كل من مصر واليابان تجربة تحديثية كان لها نفس الإنطلاقة في البلدين لكن إنحرفتا فيما بعد واتخذت كل منهما منحى بعيد عن الأخرى، ففي الوقت الذي أنهارت فيه التجربة المصرية حققت التجربة اليابانية نجاحا باهراً ويعود ذلك إلى أن اليابان قامت تجربتها على أساس تقديس الأرض والإمبراطور عكس مصر التي خضعت لحكم الأجانب قرون طويلة فمحمد علي الذي خاض هذه التجربة لم يكن عربي أو مصري، كما أن اليابان أستفادت من عزلتها ولم تخضع لأي تدخل أجنبي أو ضغط خارجي في حين أن مصر ظلت ولاية عثمانية تخضع لأوامر الباب العالي.

الملاحق

الملحق رقم 1

محمد علي باشا والي مصر. [1]

[1]- روجان يوجان، المرجع السابق، ص١.

الملحق رقم 2

مذبحة المماليك بالقلعة[1]

[1] -www.wikipedia.org

الملحق رقم3

ضابط من المشاة

ضابط من

المشاة في عهد محمد علي.[1]

[1]- طوسون عمر، الجيش البري والبحري في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص05.

الملحق رقم 4

سليمان باشا الفرنساوى

سليمان باشا الفرنساوي.[1]

[1]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص101.

الملحق رقم 5

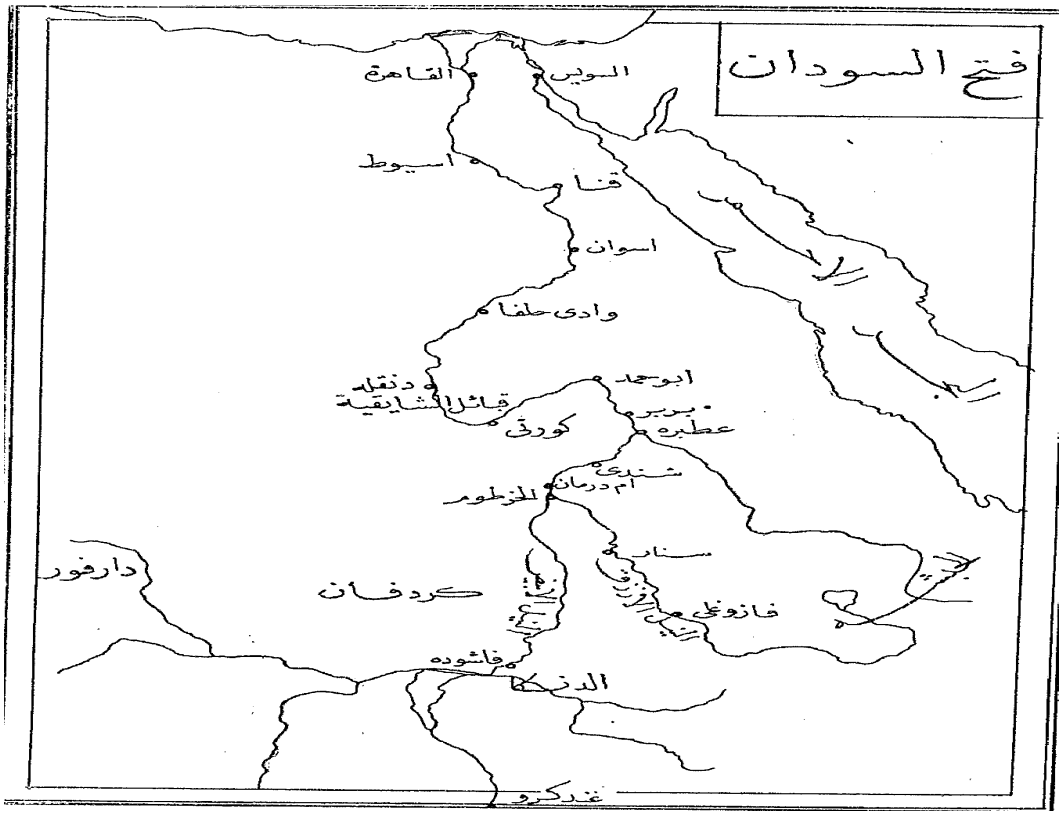

خريطة فتح السودان في عهد محمد علي[1]

[1]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص147.

الملحق رقم6

إبراهيم باشا ابن محمد علي.[1]

[1]- الكاتب سيف الدين، أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، حلب، 2010، ص115.

الملحق رقم7

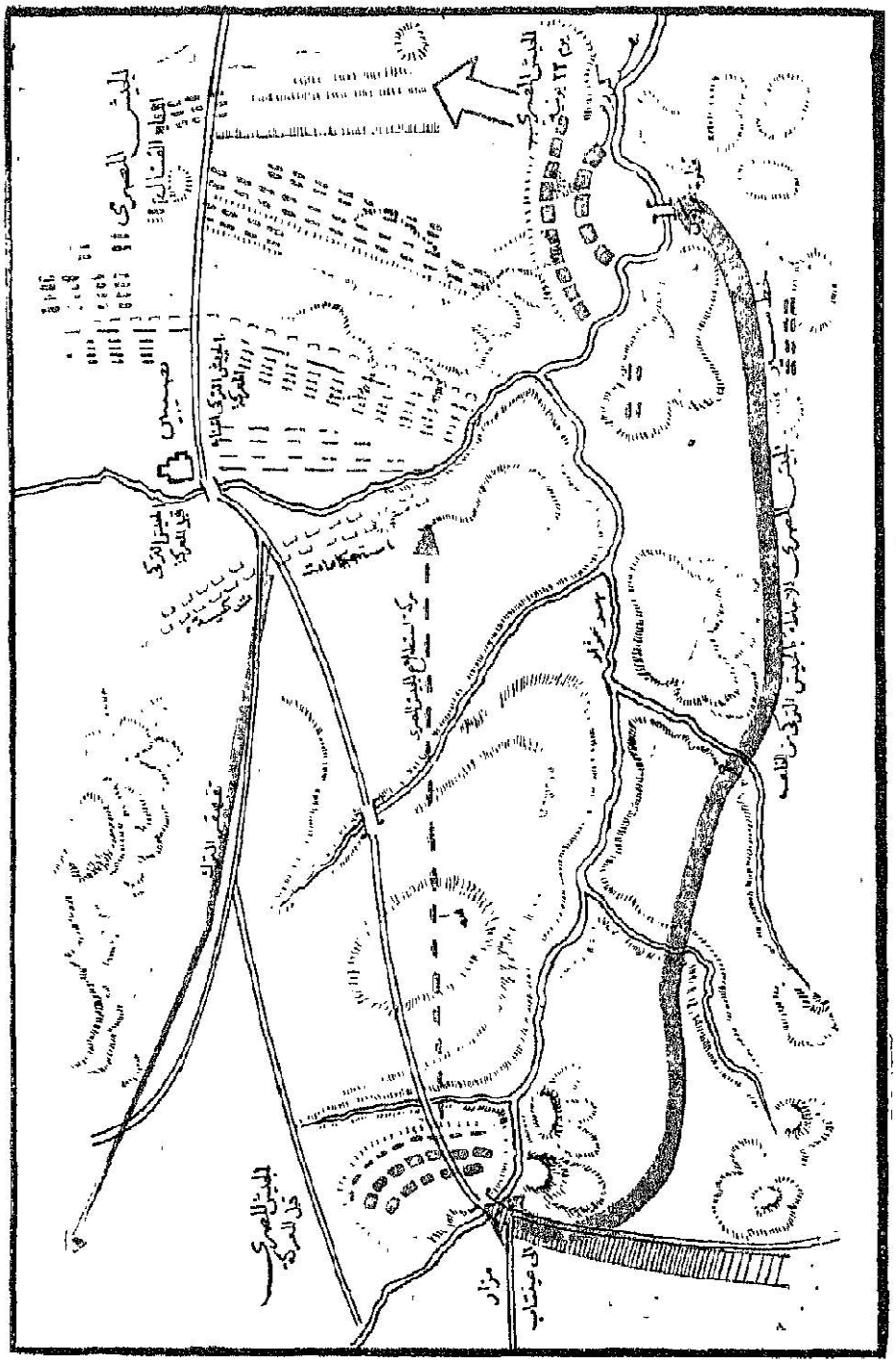

خريطة معركة "نصبين" التي وقعت بين الدولة العثمانية والجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا.[1]

[1]- السيد فرج، المرجع السابق، ص147.

الملحق رقم ٠٩

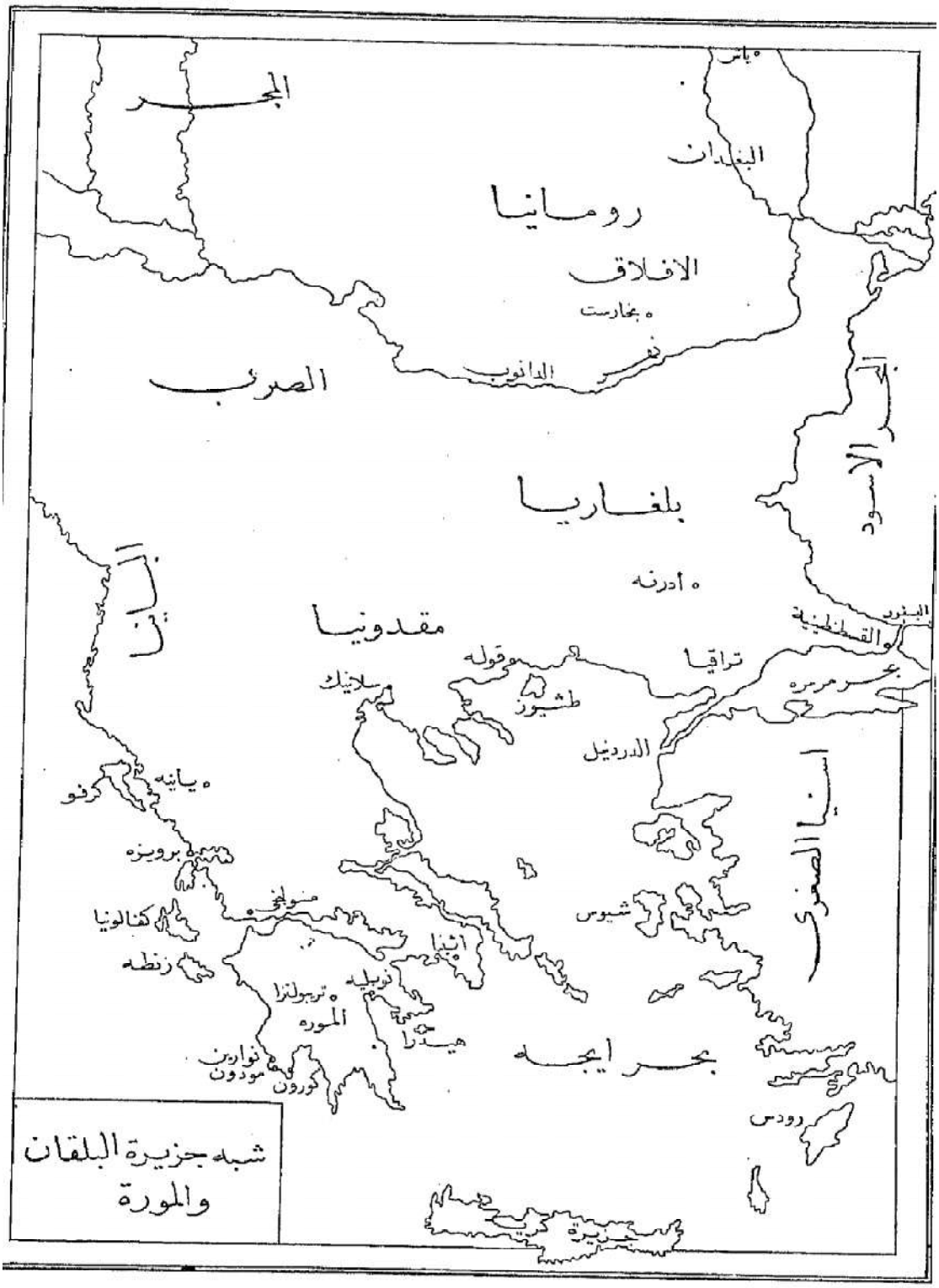

خريطة شبه جزيرة البلقان والمورة[1]

[1]- رفعت محمد، المرجع السابق، ص١٦٤.

ملحق رقم ١٠

رتبة الضابط	مرتبه
الجندي البسيط	١٥ قرش
الأمباشي	٢٥ قرش
الجاويش	٣٠ قرش
الباشا جاويش	٤٠ قرش
الصول قول أغاسي	٦٠ قرش
الملازم الثاني	٢٥٠ قرش
الملازم الأول	٣٥٠ قرش
اليوزباشي	٥٠٠ قرش
الصاغ قول أغاسي	١٢٠٠ قرش
البكباشي	٢٥٠٠ قرش
القائمقام	٣٠٠٠ قرش
الأمير ألاي	٨٠٠٠ قرش
أمير اللواء	١١٠٠٠ قرش
المير ميران	١٢٥٠٠ قرش

أما رتبة سر العسكر فكان يتقلدها إبنه إبراهيم ولم يذكر مرتب هذا المنصب.

رتب الجند ومرتباتهم في عهد محمد علي.[١]

[١]- طوسون عمر، المرجع السابق، ص٤٢.

ببليوغرافيا البحث

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١) إبراهيم طالب، الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983.

٢) الاسكندري عمر وحسن سليم ، صفحات من تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992.

٣) الأصمعي محمد عبد الجواد، قلعة محمد علي لا قلعة نابليون، دار الكتب، القاهرة، 1924.

٤) الأنصاري ناصر، المجمل في تاريخ مصر، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧.

٥) أنطونيوس جورج، يقظة العرب، تر: الأسد ناصر الدين وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

٦) الأيوبي إلياس، محمد علي سيرته أعماله وأثاره، إدارة الهلال، مصر، 1923.

٧) البدري محمد عبد الستار، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.

٨) بدوي جمال، محمد علي و أولاده، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999.

٩) بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر:نبيه أمين فارس والبعلبكي منير، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973.

١٠) بريش محمد، مفهوم الإصلاح نحو إصلاح لفهم الإصلاح، شبكة الألوكة، مصر، [د س].

١١) بهنسي حسن، العالم بأصابع مصرية، دار أبو المجد، القاهرة، 1993.

١٢) بيضون جميل وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، إربد، 1991.

١٣) جاد طه ، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي،[د م]، [د س].

١٤) جاسم سلطان، النهضة من الصحوة إلى اليقظة، [د م]، [د ن]، [د س.

١٥) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.

١٦) الجبرتي عبد الرحمان ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج4 ،مطبعة بولاق، 1297.

١٧) جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث، ج 2، [د ن]،مصر، 1889.

١٨) حلمي سهير، أسرة محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003.

١٩) حوراني ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939)، تر: عزقول كريم، دار النهار، بيروت، [د س].

٢٠) الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984.

٢١) الرافعي عبد الرحمن، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989.
٢٢) رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (1798-1849)،ج 1، وزارة المعارف العمومية، القاهرة،1934.
٢٣) روجان يوجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر:الجندي إبراهيم، ط١، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١١.
٢٤) زاهية قدوره، شبه الجزيرة العربية (كياناتها السياسية)، دار النهضة العربية، بيروت، [د س].
٢٥) الزيدي مفيد، التاريخ العربي بين الحداثة والمعاصرة، دار أسامة، الأردن، 2010.
٢٦) السروجي محمد محمود، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، [د ن] ،1998.
٢٧) سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، 1997، ص340.
٢٨) السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة المتوكل، القاهرة، [د س].
٢٩) شاكر محمود، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)،ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م.
٣٠) شبارو عصام محمد، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، بيروت،لبنان، 1992.
٣١) شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق، تاريخ مصر و السودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص152.
٣٢) الشيال جمال الدين، الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، ج2(مصر و الشام)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001.
٣٣) الشيال جمال الدين، تاريخ الترجمة و الحركة الفكرية في عهد محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1951.
٣٤) صبري محمد، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926.
٣٥) ضاهر مسعود، النهضة العربية والنهضة اليابانية(تشابه المقدمات واختلاف النتائج)، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص266.
٣٦) ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.
٣٧) طربين أحمد، تاريخ المشرق العربي، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٦.
٣٨) طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب عن الخلافة، دار النفائس، بيروت، [د س].
٣٩) طوسون عمر، البعثات العلمية في عهد محمد علي، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 34 19.
٤٠) طوسون عمر، الجيش البري و البحري في عهد محمد علي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.
٤١) طوسون عمر، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص224.

٤٢) عبد العظيم رمضان، تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
٤٣) عزت أحمد عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، [د س].
٤٤) العطار سلوى، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي ، ط1،دار النهضة العربية، القاهرة، 1989.
٤٥) العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، ط١، دار الأصالة ، الجزائر،٢٠١٠م.
٤٦) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، [د س].
٤٧) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
٤٨) عودة عبد الله ، الخطيب إبراهيم، تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية، عمان، ١٩٨٩.
٤٩) غربال محمد شفيق، محمد علي الكبير، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012.
٥٠) الغربي غالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي (١٨٢٢-١٩١٦)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠١١.
٥١) غنيمي الشيخ رأفت، التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.
٥٢) فهمي خالد، كل رجال الباشا محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، تر:شريف يونس، دار الشروق، [د م]، [د س].
٥٣) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط8، دار الفارابي، بيروت، 1985.
٥٤) لوسون فرد، الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية لمصر في عهد محمدعلي، تر: الشهاوي عنان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.
٥٥) المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح:إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.
٥٦) محمد كرد علي، خطط الشام ،ج٣، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.
٥٧) منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخرافة وسلاطين بني عثمان، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2013.
٥٨) نخلة محمد عرابي، تاريخ العرب الحديث، الشركة العربية للتسويق والتوريدات، القاهرة،٢٠١٠.
٥٩) نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، عمان،٢٠١٠.
٦٠) هريدي احمد صلاح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(1220هـ_1805م _1300هـ_1882م)، ج 2، ط1، عين للدراسات والبحوث، الهرم، 2000م.
٦١) هريدي صلاح احمد، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي، تق: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، 1985.
٦٢) هريدي صلاح احمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر(1517-1882)،[د ن]، [د م] [د س].

٦٣) وقيد محمد والنيفر أحميدة، لماذا أخفقت النهضة العربية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002.
٦٤) ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.
٦٥) ياغي إسماعيل احمد وشاكر محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر(قارة افريقية)، ج2، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1993.

الرسائل الجامعية:

٦٦) بن أعراب كلثوم، خطاب الإصلاح والنهضة في القرن 19 (حمدان خوجة ورفاعة رافع الطهطاوي أنموذجا ، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

المقالات:

٦٧) التوبة غازي، "قراءة في نهضتي مصر واليابان في القرن 19م"، **مجلة الوعي الإسلامي**، ع 532، 2009/12.
٦٨) ذوقان قرقوط، "جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا"، **مجلة الوحدة**، الرباط، السنة الثالثة، العدد ٣١/٣٢/أبريل- ماي، ١٩٨٧.
٦٩) راشد عبد المجيد، مقال بعنوان: "تجربة محمد علي في الاقتصاد المصري"، المحور: الإدارة والاقتصاد، ع1729، 2001/11/09 ، 11H35.
٧٠) ريان محمد رجائي، "نظام الالتزام في مصر العثمانية (1540-1814)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع43، السنة 13، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، 1992.
٧١) السيد لطفي عفاف، "العلماء ودورهم في مصر مطلع القرن التاسع عشر"، **مجلة الاجتهاد**، ع4و55، دار الاجتهاد، بيروت، ١٩٨٩.
٧٢) علي بلال،هدى، "الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠م-١٨٤١م،" **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد ١٠ العدد٤، [ب م]،[ب د]، ٢٠١١م.
٧٣) محمد عزت عبد، "سياسة مصر وإستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي"، مجلة **تاريخ العالم العربي**، ع17، السنة2، دار النشر العربية، بيروت، 1979م.
٧٤) هيكل محمد حسين، "نهضة الإصلاح في مصر: تاريخها، قواعدها، غرضها،" جريدة السياسة الأسبوعية، ٣٠-١٢-١٩٣٠م.

الموسوعات:

٧٥) برج عبد الرحمن وآخرون، الموسوعة الثقافية و التاريخية و الأثرية و الحضارية، ج2، دار الفكر، القاهرة، 2008.
٧٦) الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي(العصر العثماني)، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٣.

٧٧) الكيالي عبد الوهاب وآخرون، الموسوعة السياسية، مج1،2،11، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، [د س].

القواميس والأطالس:

٧٨) ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار صاد، بيروت، [د س].

٧٩) الجوهري إسماعيل بن عماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عطار أحمد عبد الغفور، مج4، دار العلم للملايين، بيروت، [د س].

٨٠) الكاتب سيف الدين وآخرون، أطلس التاريخ الحديث، دار الشرق العربي، حلب، ٢٠١٠.

٨١) مؤنس رشاد الدين، المرام في المعاني والكلام، دار الراتب الجامعية، بيروت، [د س].

فيلم وثائقي:

٨٢) الجزيرة الوثائقية، تأسيس الجيش المصري الحديث، 10-03-2015.

المراجع باللغة الأجنبية:

٨٣) Paul mérruau, l'Egypte contemporaine de Mohammed Ali A Sai pacha, Didier et c, Liraires _ éditeurs, paris

المواقع الإلكترونية:

٨٤) http://forums.fatakat.com/thread3929158

٨٥) http://wwws.tartimes.com/faspx.

٨٦) www. Wikipedia.rog.

٨٧) www.acreg.org.

٨٨) www.marefe.org/index/php

فهارس البحث

فهرس الأعلام

– أ –

إبراهيم أغا: ص1

إبراهيم باشا: ص3،4،7،16،19،٢٠،22،27، ٢٩، ٤٤، ٤٦،٤٧،٥١، ٥٢

أحمد باشا الجزار: ص11

أحمد باشا: ص6، 27

أدهم بك: ص٢،24

إسماعيل باشا:ص1،٢ ،٦،3،19،21،٤٥

أمين أغا: ص١٢ ، 15،18

-ب-

بشير الشهابي:ص٤٦

– ج –

جالويه: ص24،25

جرجيس الجوهر: ص17

جونون: ص24

حجاج الحضري: ص17

– ح –

حسن باشا: ص ٥ ،١٣، 16

حسين باشا: ص 6

– خ –

خسر و باشا: ص5،٧،٦ ،8،9

خليل بك: ص٢٧

خورشيد باشا: ص9،10

– د –

دي سريزي: ص 24

– ر –

رفاعة رافع الطهطاوي: ص23، ٣٩، ٤٢،٤١

– س –

سباستياني: ص5

ستيوارت: ص١٣ ،15،16

السكندر فريزر: ص15

سليم الأول ص٣

سليم الثالث: ص12، 14

سليمان باشا: ص12،19،20،22،٢٧

– ش –

شارل عيساوي: ص56

شاكر أفندي: ص39

شاهين بك الألفي: ص18

_ ط _

طاهر باشا: ص6، 9

طبوز أوغلي: ص16

طوسون أغا: ص1،2.3،19،21، 53

_ ع _

عباس باشا: ص٢٧، ٥١، ٥٢

عبد الله باشا: ص46

عثمان بك البرديسي: ص٤،7،8،9،12،14، 15

عثمان نور الدين أفندي: ص43، ٣٩

علي باشا الجزايرلي: ص8

علي باشا مبارك: ص ٤٠،

علي بك السلانكي: ص١٢ ، 15

عمر مكرم: ص10،11،17

_ ك _

كاديه: ص24

كاريه: ص24

كانت ريك: ص24

كلوت بك: ص٤٢،٤١

كوست: ص40

الكونيل سيف: ص23،21

-ل _

لويس ألساندرى: ص٤١

لينان ديبلفون: ص35،34

_ م _

مارتل: ص24

مارنجو: ص24

محمد المحروقي: ص17

محمد بك الألفي: ص٤،7،9،12،13،14،17

محمد علي باشا:
ص1،2،3،4،5،6،7،8،9،10،11،12،13،14،15،16،17،18،19،20،21،22،24،25،26،27،
28،29،30،32،33،34،35،36،37،38،39،40،41،42،43،44،45،46،47،48،49،50،51،
52،53،54،55،56،57،58،59.

محمد بك دفتردار:ص47

محمد كريم: ص١٢،15

محمد رشيد باشا: ص٤٦

محمود الثاني: ص٤٦،٣٧ ،٤٧

مراد بك: ص٤

المسيو جوميل: ص33،36

المسيو ليون: ص1،2

المسيو موجيل: ص34،35

المسيو هامون: ص42

المرستون: ص48

مصطفى باشا: ص١٨

موسى أغا: ص٦،12

_ ن _

نابليون بونابرت: ص٣، 4،5،11،13،٢٥،28 ، ٤٨

نقولا مسابكي أفندي: ص43، ٣٩

_ هـ _

هتشنسون: ص5

هوسار: ص27

_ و _

ويكوب: ص١٠،15،16

_ ي _

يوسف باشا: ص4،5

يوسف هاككيان أفندي: ص41

فهرس الأماكن والبلدان

_ أ _

أبي زعبل: ص23

اسبانيا: ص36

الإسكندرية: ص8، 9،14،15،16،25،27، 30،31،32،37،42،51

أسوان: ص22

آسيا الصغرى: ص26

آسيا: ص48

أسيوط: ص13،14،23

ايطاليا: ص39

أطنة: ص46،48، 49

الأناضول:ص47

_ ب _

باريس: ص39

بروسيا: ص48

بريطانيا: ص4،5،13،14،36،47،48

بروسطة:ص 2

البلقان: ص1

بني سويف: ص36

بولاق: ص24

بلاد الشام: ص44، 45، 46،47،51

_ ت _

تركيا: ص21، 50

_ ج _

جزيرة المورة: ص22

جدة:ص47

جبال طوروس:ص46

_ح_

حمص:ص25

_ د _

دمياط: ص21،31،32،34،35،36

_ ر _

رشيد: ص9،15،16،21،31،34،35،36،39

روسيا: ص13،48

_ ص _

صيدا:ص48

_ ع _

عكا:ص٢٥،49

ـ س ـ

سلانيك: ص12

سنار: ص22

السودان: ص22،23،45،49،52

سوريا: ص8،17،36، 47

السويس: ص31،37

ـ ص ـ

الصعيد: ص12،13،14،17،18،22

ـ ف ـ

فرنسا: ص13،21،39،40، 47،48،49،53

الفيوم: ص12،14

فيينا:ص48

فلورنسا: ص34

ـ ق ـ

القاهرة: ص5،6،7،8،10،13،37،41، 42،51

قبرص: ص26

القسطنطينية: ص9،17

قولة: ص1

قونية: ص46

ـ ك ـ

كردفان: ص22

كريت: ص26،47،49

ـ ل ـ

لبنان: ص46

لندن: ص5،36،48،50،51،52

ـ م ـ

مالطة: ص36

مصر:
ص1،2،3،4،5،6،7،8،9،10،11،12،13،14،15،16،17،18،19،20،21،26،25،27،29،30،
32،34،36،37،38،40،41،42،44،45،46،47،48،49،50،51،52،54،55،56،57،58

المنصورة: ص3625

المينا: ص12

ـ ن ـ

نصيبين:ص48

نهر الفرات:ص46

النمسا:ص48

ـ ي ـ

اليابان:ص54،55،56،57،58

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة شكر

الموضوع	الصفحة
مقدمة للبحث	أ _د
الفصل الأول: محمد علي وظروف توليه الحكم	١٧....١
المبحث لأول: محمد علي من قونية إلى الإسكندرية	٨.....١
أولا: المولد والنشأة ١٧٦٩-١٨٤٩	٣.....١
ثانياً: محمد علي في مصر	٨.....٣
المبحث الثاني: خطوات محمد علي لتثبيت حكم مصر بيده ١٨٠٥-١٨١١	١٧.....٩
أولا: الاستعانة بالعلماء والأعيان ثم التخلص منهم ١٨٠٥-١٨٠٩	١٠.....٩
ثانيا: صده لحملة فريزر الإنجليزية ١٨٠٧	١٣.....١١
ثالثا: تخلصه من المماليك١٨٠٥-١٨١١	١٦.....١٤
الفصل الثاني: دور محمد علي باشا في بناء الدولة المصرية الحديثة١٨١١-١٨٤٨ م	٤٣ .....١٧
المبحث الأول: إصلاحاته العسكرية والإدارية	٣٠.....١٨
أولا: الإصلاحات العسكرية	٢٥.....١٨
ثانيا: الإصلاحات الإدارية	٢٩ .....٢٥
ثالثا: إصلاح النظام القضائي	٣٠.....٢٩
المبحث الثاني: إصلاحات محمد علي باشا الاقتصادية	٣٨.....٣٠
أولا: الإصلاح الزراعي	٣٢.....٣٠
ثانيا: الإصلاح الصناعي	٣٤.....٣٢
ثالثا: الموارد المالية واستثماراتها	٣٨.....٣٤
المبحث الثالث: إصلاحات محمد علي باشا التعليمية	٤٢....٣٨
أولا: إصلاح التعليم	٤١.....٣٨
ثانيا: المدارس الابتدائية أو التجهيزية	٤٢.....٤١
الفصل الثالث: مصير إصلاحات محمد علي باشا	.٥٨....٤٣

المبحث الأول: مشروع الدولة العربية الكبرى وتأثيره على مسار الإصلاحات	٤٣.....٥٣
أولا: حملتا محمد علي باشا على بلاد الشام ١٨٣١-١٨٣٩	٤٢.....٤٧
ثانيا: العوامل المؤثرة في مصير الإصلاحات	٤٧.....٥١
ثالثا: أثر إصلاحات محمد علي باشا على مصر	٥٢.....٥٣
المبحث الثاني: عوامل فشل الإصلاحات في مصر ونجاحها في اليابان	٥٣.....٥٨
أولا: العوامل المؤثرة في مسار التجربتين	٥٣.....٥٥
ثانيا: انعكاسات الإصلاح على البلدين	٥٥.....٥٨
خاتمة البحث	٥٩.....٦١
ملاحق البحث	٦٢.....٧١
بيبليوغرافيا البحث	٧٢.....٧٦
فهارس البحث	٧٧.....٨٩
فهرس الأعلام	٧٧.....٨٢
فهرس الأماكن والبلدان	٨٣.....٨٧
فهرس الموضوعات	٨٨.....٨٩